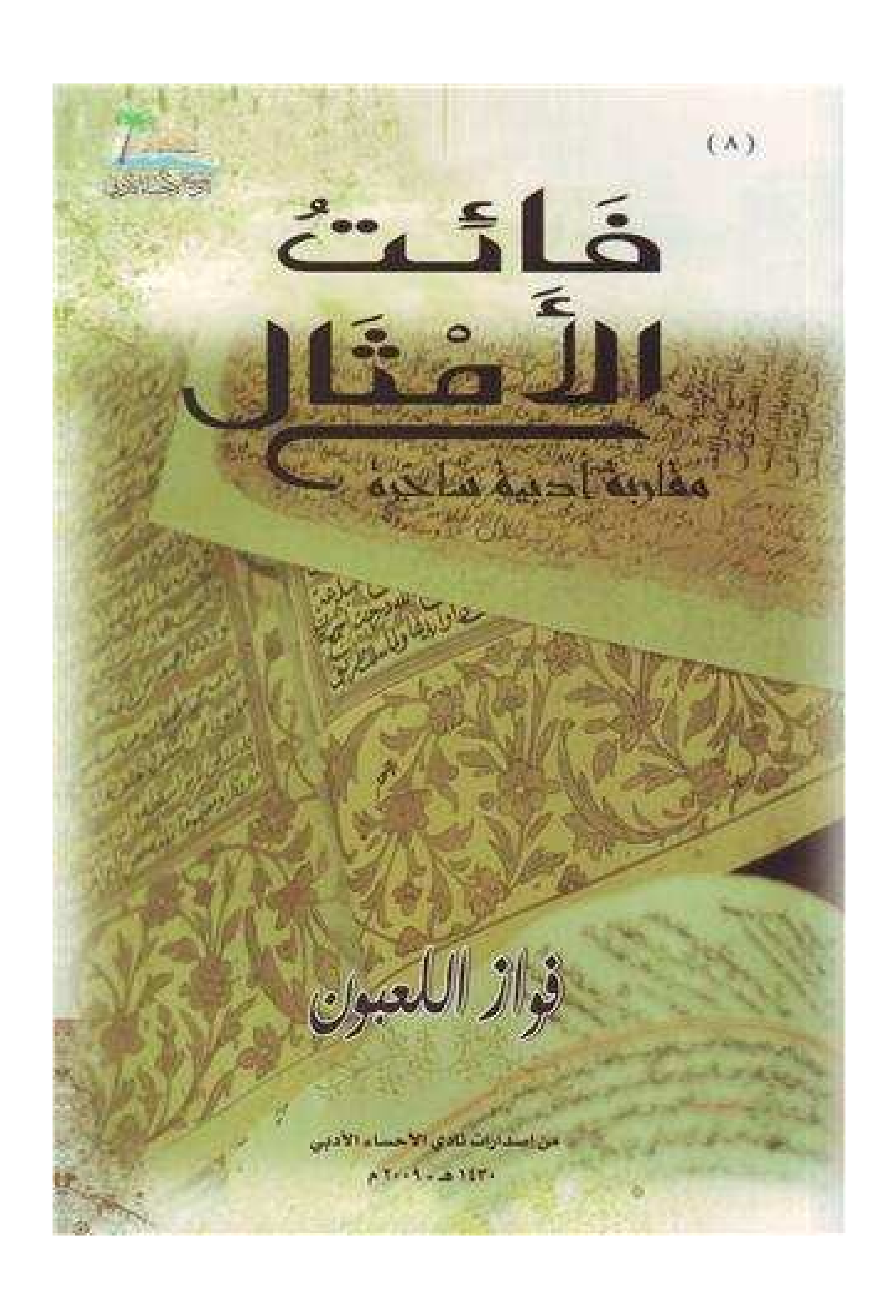

(٨)
فَائِتُ
الأَمْثَال
مقاربة أدبية ساخرة
فواز اللعبون
من إصدارات نادي الأحساء الأدبي
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

فائت الأمثال :

مقاربة أدبية ساخرة

فواز اللعبون

من إصدارات نادي الأحساء الأدبي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ح نادي الأحساء الأدبي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللعبون، فواز
فائت الأمثال: مقاربة أدبية ساخرة. / فواز اللعبون. –
الأحساء ١٤٣٠هـ
١٤٤ ص ، ١٤❖ ٢١ .
ردمك: ٥- ٠- ٩٠١٠٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨
١- الأمثال العربية أ. العنوان
ديوي: ٨١٨,٠٣ ١٤٣٠/٥١٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٥١٧٦
ردمك: ٥- ٠- ٩٠١٠٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

الغلافان :

تصميم : أ. منى المديهش

عدسة : أ. عمر الرحيـلي

نادي الأحساء الأدبي
ص. ب : ٤٨٩ – الأحساء : ٣١٩٨٢
الهاتف: ٥٨٢٤٨٢٩ – ٠٣ / ٥٨٦٥٠١٧ – ٠٣
الفاكس: ٥٨٦٤٧٦٢ – ٠٣
البريد الإلكتروني: adabiahsa@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

ما أكثر المستحقين، وما أهون المهدَى..

والدايَ أكبر منه، وزوجتي أجلّ،

والآخرون لا يرضيهم البخس..

ليس غير صغيريّ يستران هذا التطفيف:

«عبدالعزيز و مهند»

على الضفاف

منذ ستة عشر قرناً والعرب يحترفون الكلمة، ويصوغون من جمالياتها فنونا، ومن فنونهم تلك أمثالهم الفائقة الدالة على مقدرتهم في التكثيف الدلالي، والاختزال اللفظي، ولذا حرص أوائل الأدباء والمهتمين على جمع بعض شتاتها، فأثبتوها في مصنفات خاصة، وقرنوها بالشروح، وأردفوا ما أمكن منها بخبره وقصته.

ولي في هذا المجموع المحدود مقاربة مختلَفة تقتفي الشكل السالف، وتحاذي مضمونه التوجيهي، بلغة أكثر وضوحا، وصياغات إخالها سَلِسة، وتضيف إليه مسحة فكاهة وسخرية، ولا أنكر أن هذه المسحة هي الركيزة التي عَلَّقْت عليها سائر الأهداف، وجَعَلْت منها الطُّعْم الذي يغري المتلقي باقتفائه.

والأمثال في مجموعها مستخلصة من مناحي حياتنا المعاصرة التي وجدت فيها ما هو جدير بالالتفات، وأنوه إلى أن هذه الأمثال ليست إلا مجرد انعكاس عن الواقع العام بحسنه وسيئه، ولا تعني في جملتها أنها انعكاس عن واقع خاص قريب، عدا المثل الأخير الذي مزجت فيه بين واقعين، ثم أودعت فيه

إيضاحاً واعتذاراً لمن قـد يلمـس في بعـض الأمثـال انتقـاداً لفئـات، أو تزكيـة لأخرى.

وفي مجموعي هذا ثلاثون مثلاً تضمنت ثلاثين قصيدة بأبيات عدتها ثلاثمئة وخمسة وستون بيتا، وقد تفاوتت الأمثال طولاً وقصراً حسب سـعة أخبارهـا، على أن معظمها متقارب نسبيّا، ورتَّبتها ترتيباً هجائيّاً آليّاً حسب بداية كل مثل، بغض النظر عن جذر أوله وزياداته.

وقد انتهجت منهجاً موحداً جرت عليه جملة من الأمثال القديمة؛ فابتدأت بنص المثل، ثم أوردت السياق الذي يُضرب فيه، مـع شرح مـا يحتـاج إلى شرح من مفرداته، يلي ذلك أصل المثل المتضمِّن قصته المفتعلة، وختمته بأبيات شعرية يشتمل أحدها على المثل الوارد، وعلى هذا فالغالب أن أبطـال الأمثـال شـعراء انتقاديون مثاليون، وهذا من الإمعان في الخيال والتجنيح.

ولما كانت مقـاربتي انعكاسـاً عـن الـتراث في شـكله، وعـن المعـاصرة في مضمونها، آثرت أن أجمع بين أبرز خصائصهما الأدبية في الكتابة؛ فجئـت بـالمتن مسجوعا، وضبطته بالشكل ضبطاً تامّاً إلا في مواضع الوقف، ثم سـقت ذلـك

كله في مضمار سهل ممهد، فلم أوغل في تعقيد لغوي ولا بيـاني، ولم أعتمـد مـن الألفاظ والصياغات إلا ما خلته قريباً من متوسطي الثقافة والاطلاع.

وآمل أن تؤدي محاولتي هذه أهدافها التي جعلتها نصب عينيّ قبـل البـدء وأثناءه، وعلى رأس أهدافي تلك تقريب متميزي الناشئة، وغير المتخصـصين في حقول الأدب إلى جميل التراث، وصالح المعاصرة، بطريقة حكائية محببـة تغـري بسخريتها ولذعها، إضافة إلى نقد بعض المظـاهر الخاطئـة التـي تعـم المجتمـع العربي على وجه الخصوص.

ومن الإنصاف أن أشكر من وقف معي مقترِحاً ومراجِعـاً ومـشجِّعا، فلهـم مني وافر الامتنان، وصادق العرفان، وأخص زمـيلي الكـريم الـدكتور: بـدر بـن محمد الراشد الذي انتشل هذا العمل من أخطاء الطباعة، وهنات اللغـة، وأشـكر أيضاً الزميلة الفاضلة والقاصة المبدعة الأستاذة: منى بنت إبراهيم المديهش التـي أسبغت على الأمثال سربالين من حس وحدس، فصممت الغلافين وقد أشربتهما الفكرة ظاهراً وباطنا، ولو امتد بي نشاط قادم لأفردتهما وغيرهما بمثل يكشف عن نُبلهم، ويُعَرِّي قصوري معهم، كما لن تفوتني الإشادة الطُّـوْلَى بـصاحب البـذرة

الأُوْلَى الذي أفدت منه ما لا أحصي منافعه في هذه الأمثال وغيرها، وهو فارس المقامات أبو محمد القاسم بن علي الحريري (تـ: ٥١٦هـ- ١١٢٢م) عليه من الله شآبيب الرضوان والرحمة.

بقي أن أقدم اعتذاري إلى من قد يستشعر في بعض الأمثال غمزاً أو إساءة، وأؤكد له ولغيره أنني محسوب -بشكل أو آخر- على معظم النماذج الواردة، وأنني في أحيان أخرى قد أتمثل نفسي الشخصية المنقودة، فأصوغ المثل وخبره على هذا الأساس، بعد أن أضفي عليه جوانب من التهويل والمبالغة.

هذا، وأحمد الله سبحانه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه.

فواز بن عبدالعزيز اللعبون

الرياض

alrsad@hotmail.com

١ – «أَبْشَعُ مِنْ وُصُوْلِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ كَثُرَ نِفَاقُه، وانْحَطَّتْ في التَّمَلُّقِ أَخْلاقُه، ولَـهُ في الـمُمَاذَقَةِ أُسْلُوْب، وماءُ وَجْهِهِ مَسْكُوْب، والوُصُـوْلِيُّ قِـرْدٌ في هَيْئَـةِ إنْسَان، يَتَسَلَّقُ إلى مَصَالِـحِهِ بِاللِّسَان، وهوَ أَيْضاً عَدِيْمُ الكَرَامَة، تَأْنَفُ مِنْ قَذَارَتِهِ القُمَامَة، يَبِيْعُ أُمَّهُ وأَبَـاه، لِيَـصِلَ إلى مَـسْعَاه، تَــرَاهُ مُلْتَـصِقاً بِالكُبَرَاء، وهُمْ يُعَامِلُوْنَهُ كَالـحِذَاء، وقَدْ يُصَاحِبُ عَامَّةَ النَّاس، ويَرْفَعُ ذَنَـباً يَظُنُّهُ الرَّاس، لا مَبْدَأَ يَـحْكُمُ تَـصَرُّفَاتِه، ولا يَــرَى إلاّ تَــحْقِيْقَ ذَاتِه.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ مُوَظَّفاً عَظِيْمَ الــهِمَّة، يُـؤَدِّي عَمَلَـهُ بِـإِخْلاصٍ وذِمَّة، وكَانَ لَهُ زَمِيْلٌ كَثِيْرُ الإهْمَال، عَلَيْهِ مِنَ الدَّنَاءةِ سِرْبَال، لَـمْ يَـرَ أُمَّهُ مُنْذُ سِنِيْن، وأَبُوْهُ في دَارِ المُسِنِّيْن، وإذا رَأَى رَئِيْسَهُ قَبَّلَ يَدَيْه، وكَادَ يَلْعَقُ بَاطِنَ رِجْلَيْه، ويُسْمِعُهُ كَلِمَاتِ التَّبْجِيْلِ والتَّعْظِيْم، ويَشْتُمُ أَمَامَهُ

الرَّئِيْسَ القَدِيْم، وإذا مَرِضَ ابْنُ الرَّئِيس، قَفَزَ بِهِ إلى (ابْنِ النَّفِـيْس)، وإنْ فَرَغَتْ أُنْبُوْبَةُ غَازِه، حَمَلَها لَهُ عَلَى أَعْجَازِه، ومَتَى انْتَـهَتْ مُـدَّةُ الرِّئاسَة، سَحَبَ عَلَيْهِ ذَيْلَ الـخَسَاسَة، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الرَّئِيْسَ الـجَدِيْد، بِكُلِّ حَفَاوَةٍ وتَـمْجِيْد، ومَـضَى عَـلَى عَادَتِـهِ الْمُخَادِعَـة، فحَقَّـقَ لَـهُ رُؤسَاؤهُ مَطَامِعَه، وهوَ مَعَ ذَلِكَ وَاشٍ نَمَّام، ومَاهِرٌ في حَبْكِ الكَلام، سَبَقَ أَنْ وَشَى بِزَمِيْلِهِ الشَّرِيْف، فنُقِلَ مِنْ فَوْرِهِ إلى الأَرْشِـيْف، وفَـازَ هُوَ بِعُلُوِّ الرَّاتِبِ والمَرْتَـبَة، وحَظِيَ بِالانْتِدَابَاتِ ولَـمْ يَبْرَحْ مَكْتَـبَه.

فلَـمَّا رَأَى المُوَظَّفُ ضَيْعَةَ حَالِه، وكَيْفَ ظَفِرَ الوُصُوْلِيُّ بِآمَالِه، قَـرَّرَ أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الإبَاء، وأَنْ يُنَازِعَ الوُصُوْلِيَّ الإنَاء، فطَرَحَ عَنْ كِبْرِيَائه الـخَجَل، واسْتَأْذَنَ عَلَى رَئِيْسِهِ ودَخَل، فحَبَكَ لَهُ مِنَ التَّمْجِيْدِ عَبَاءات، وقَالَ فِيْهِ مِنَ الشِّعْرِ مُعَلَّقَات، ثُمَّ مَسَحَ حِذاءَهُ ولَـمَّعَه، وسَارَ إلى البَيْتِ مَعَه، فنَفَضَ عَنِ العَتَـبَاتِ الغُبَار، وانْحَنَى وامْتَطَاهُ الصِّغَار، فمَا مَـرَّ أَكْثَرُ مِـنْ أُسْبُوْع، إلاّ وأَمْرُهُ مُطَاعٌ مَسْمُوْع، ونَـهَضَتْ بِهِ رِجْلُهُ العَاثِرَة، وأَصْبَحَ مُدِيْراً في الدَّائرَة،

فاسْتَدْعَى الوُصُوْلِيَّ وشَكَرَه، وأَعْطَاهُ مِنْ بُسْتَانِهِ ثَمَرَة، ثُمَّ نَادَى بِصَوْتٍ سَمِيْك، وأَمَرَ الوُصُوْلِيَّ بِالتَّدْلِيْك، وظَلَّ وَرَاءهُ يُدَلِّكُهُ بِرِفْق، ويَدْعُو لَهُ بِسَعَةِ الرِّزْق، وأَثْنَاءَ اسْتِرْخَائِهِ اعْتَدَلَ واسْتَدَار، وأَنْشَدَ وهوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ الدَّوَّار:

أَلاَ لِلَّـــهِ دَرِّي مِـــنْ نَبِيْـــهٍ	تَغَـانَمَ عُمْـرَهُ قَبْـلَ انْقِـضَاءِ
ظَفِرْتُ مِـنَ التَّمَلُّـقِ بِالأَمَـانِي	فَتَـــبّاً لِلْكَرَامَـــةِ وَالإِبَـــاءِ
وَكُنْتُ أَرَى الشُّمُوْخَ رِدَاءَ عِـزٍّ	فَعَـرَّى كُـلَّ سَـوْءاتِي رِدَائِـي
لَيَـالِيَ كُنْـتُ مُـحْتَقَراً ضَـئِيْلاً	وَفِي الأَرْشِيْفِ مُطَّرَحاً وَنَـائِي
أُغَـالِطُ وَهْـمَ عِـزَّتِيَ ادِّعَـاءً	فَـمَاذا زَادَنِي وَهْـمُ ادِّعَـائي؟!
فَمَنْ يَصِفُ التَّمَلُّقَ بِانْحِطَاطٍ	وَهَـا أَنَـذَا أُحَلِّـقُ فِي السَّمَاءِ؟!
وَخَلْفِي سَـافِلٌ أَحْـرَزْتُ مِنْـهُ	فُنُوْنَ المَـذْقِ وَالقَـوْلِ الـهُرَاءِ
فَنِلْتُ بِهِ الـذي لَـمْ يَسْتَطِعْهُ	فَيَـا لِلَّـــهِ مَـا أَقْـوَى دَهَـائي
أُبَادِئُهُ الـسِّبَابَ وَلَـيْسَ يُبْـدِي	لِوَقْـــعِ بَـــذَاءَتِي أَيَّ اسْـــتِيَاءِ

وَلَـوْ أَعْمَلْـتُ كَفِّـي في قَفَـاهُ لَبَـــادَرَنِي بِـــأَنْوَاعِ الـــدُّعَاءِ
فَأَسْــأَلُكُمْ بِــرَبِّي هَــلْ رَأَيْــتُمْ كَأَبْشَعَ مِـنْ وُصُـوْلِيٍّ وَرَائـي؟

٢ – «أَبْطَأُ مِنْ قَاض»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنِ انْتَـهَجَ التَّسْوِيْف، وتَقَاعَسَ عَنْ حَمْـلِ الثَّقِيْـلِ والـخَفِيْف، وأَجَّلَ أَعْمَالَ النَّاسِ وأَعْمَالَـه، وشَـكَا مَـنْ حَوْلَـهُ إهْمَالَـه، والقُضَاةُ رِجَال أُنِيْطَ بِـهِمُ العَدْل، وانْتُظِرَ مِنْهُمُ الـخَيْرُ والفَضْل، وقَـدْ يُبْتَـلَى بِـبَعْضِهِمُ القَضَاء، فيُشَوِّهُوْنَ وَجْهَهُ الوَضَّـاء، ولِـذا قَـالَ عَـنْهُمُ المُصْطَفَى المُخْتَار:، قَاضٍ في الـجَنَّةِ وقَاضِـيَانِ في النَّـار، وهُـمْ عُـصْبَةٌ قَلِيْلَةُ الإحْسَاس، لا تُرَاعِي مَصَالِحَ النَّـاس، يَبْـدُوْنَ بِوُجُـوْهٍ كَالِـحَة، ولِسِيْرَتِـهِمْ أَنْتَنُ رَائحَة، يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ التَّكَبُّرُ والصَّلَف، ولَوْ وَزَنْتَـهُمْ لَـمْ يَزِنُوا الـخَزَف.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَابّاً رَاجَـعَ المَحْكَمَـة، لِيَرْفَـعَ فِيْهـا عَـلَى خَـصْمِهِ مَظْلَمَة، وكَانَ خَصْمُهُ قَدْ نَـهَبَهُ مَالَه، وحِيْنَ وَاجَهَهُ أَنْكَرَ مَـا لَـه، ومَـعَ الفَـتَى أَوْرَاقٌ تُثْبِتُ ما ادَّعَاه، وشُهُوْدٌ يُؤَكِّدُوْنَ صِدْقَ دَعْـوَاه، فأُحِيْـلَ

إلى قَاضٍ بَادِي البِطْنَة، مُقَطِّبِ الـجَبِيْنِ قَلِيْلِ الفِطْنَة، فلَـمَّا مَثَـلَ أَمَامَـه، وأَهْدَاهُ سَـلامَه، رَمَقَـهُ القَـاضي بِعَـيْنِ الُمـسْتَرِيْب، كَـمَا يَرْمُـقُ فَرِيْـسَتَهُ الذِّيْب، ثُمَّ مَضَى يُـخْبِرُهُ عَنِ القَضِيَّة، وعَمَّا لاقَاهُ مِـنْ أَذِيَّـة، وقَـدَّمَ لَـهُ الأَوْرَاقَ والشُّهُوْد، ثُمَّ قَاطَعَهُ القَاضي بَعْـدَ هُجُـوْد، وقَـالَ: كُـفَّ عَـنِ الكَلام، وأَحْضِرْ خَصْمَكَ بَعْدَ عَام، فحِيْنَ اسْتَكْثَرَ الفَـتَى الُمدَّة، طَـرَدَهُ القَاضي شَرَّ طِرْدَة، بَعْـدَ أَنْ نَكَّـلَ بِـهِ كُـلَّ تَنْكِيْـل، وضَـاعَفَ لَـهُ مُـدَّةَ التَّأْجِيْل، ثُمَّ أَقْبَلَ الفَـتَى في المَوْعِدِ المَضْرُوْب، ولَــمْ يَـسْتَطِعْ إحْـضَارَ خَصْمِهِ المَطْلُـوْب، فأَمْهَلَـهُ القَـاضي عَـامَيْنِ آخَـرَيْن، فـشَكَرَهُ ودَمْعُـهُ يُسَابِقُ العَيْن، فصَاحَ القَاضي: أَتَسْخَرُ بِي يَا غُلام؟، مَوْعِـدُكَ إذَنْ بَعْـدَ ثَلاثَةِ أَعْوَام.

ومَـرَّتْ تِـسْعَةُ أَعْـوَامٍ وهـوَ يُرَاجِـع، ويَكْـتُمُ في أَحْـشَائِهِ الأَسَـى والمَوَاجِع، فلا هُوَ اسْتَطَاعَ إحْضَارَ خَصْمِه، ولا القَاضي هَـمَّ بِإصْـدَارِ حُكْمِه، وفي العَامِ العَاشِرِ مِنَ الُمرَاجعَات، اسْتَأْجَرَ الرَّجُـلُ مَــجْمُوْعَةَ

فُتُوَّات، واقْتَادَ خَصْمَهُ إلى القَاضي، ونَسِيَ كَرْبَ سِنِيْهِ المَوَاضي، ودَخَلَ مَـجْلِسَهُ الذي يَعْرِفُه، فوَجَدَ قَاضِياً آخَرَ يَـخْلِفُه، فسَأَلَهُ عَنْ قَاضِـيْهِ في انْدِهَاش، فأَخْبَـرَهُ أَنَّهُ أُحِيْلَ إلى المَعَاش، وحِيْنَئذٍ بَادَرَ الـخَصْمُ اللَّـئِيْم، يَشْكُو لِلْقَاضي عُنْفَ الغَرِيْم، وأَنَّهُ قَادَهُ إلَيْهِ بِالقُوَّة، ولَـمْ يَسْلُكِ الطُّرُقَ المَرْجُوَّة، فمَا لَبِثَ القَاضي الـجَدِيْد، أَنْ كَبَّلَ الغَـرِيْمَ بِالـحَدِيْد، وأَمَـرَ الـحُجَّابَ بِحَبْسِهِ وجَلْدِه، حَتَّى يَشْكُوَ السَّوْطُ مِنْ جِلْدِه.

ولَـمَّا اسْتَوْفَى الرَّجُلُ كَامِلَ عُقُوْبَتِه، جَدَّدَ إلى القَاضي رَفْعَ خُصُوْمَتِه، فصَنَعَ بِهِ صَنِيْعَ القَاضي السَّابِق، وأَلْزَمَهُ بِإِحْضَارِ خَصْمِهِ الآبِق، ومَـرَّتْ عَلَيْهِ الشُّهُوْرُ والسَّنَوَات، وشَاخَ الرَّجُلُ وخَصْمُهُ مَات، فأَوْصَى بَنِيْـهِ أَنْ يُطَالِبُوا وَرَثَـتَه، وأَنْ يُـحْضِرُوا أَوْرَاقَهُ ومِـحْبَـرَتَه، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِكِتَابَـةِ مَـا أَحْرَقَ أَعْمَاقَه، وأَمْلَى وهوَ عَلَى كُرْسِيِّ الإِعَاقَة:

إلَى اللهِ أَشْـكُو ضَـعْفَ حَـالِي وَحِيْلَتِـي ... وَمَا ضَاعَ مِنْ مَالِي وَمِنْ عُمْـرِيَ المَـاضي

فَيَــا لَيْــتَ أَنِّي أَسْــتَعِيْضُ بِــمَا مَــضَى مِنَ المَالِ عُمْراً لَـسْتُ عَنْـهُ بِمُعْتَـاضِ

دُهُـوْرٌ مِــنَ الــخِذْلانِ مَــرَّتْ بَطِيْئَــةً وَمَــرَّ شَــبَابِي بَيْنَـــهَا مِثْــلَ إِيْـــمَاضِ

وَخَلَّفَنِـــي يَـــأْسِي كَـــسِيْفاً مُعَـــذَّباً أُعَـــانِي مَــرَارَاتِي وَكَثْــرَةَ أَمْــرَاضِي

سَـــعَيْتُ إِلى حَقِّـــي فَمَاطَلَنِـــي بِـــهِ قُـضَاةٌ أَرَوْنِي مِــنْهُمُ كُــلَّ إِعْــرَاضِ

فَعُدْتُ عَلَى الأَعْقَابِ مُضْطَرِبَ الــخُطَى وَهَــا أَنَــذَا نِــضْوٌ أُلَـــمْلِمُ أَنْقَــاضِي

ظَمِئْــتُ فَــأَغْرَانِي سَرَابٌ مِــنَ المُنَــى ظَـنَـنْتُ بِهِ رِيّاً، فَيَا طُـوْلَ تَرْكَـاضِي!

فَلَــمْ أَرْوِ مِــنْ وِرْدِ القُـضَاةِ حُـشَاشَتِي ولَــمْ يَسْقِ مَاءُ العَدْلِ يَابِسَ أَحْوَاضِي

صُـدُوْدٌ وَتَــسْوِيْفٌ وَطُــوْلُ تَــجَهُّمٍ وَزَجْــرٌ وَتَــهْدِيْدٌ وَنَظْــرَةُ إِبْغَــاضِ

فَلِلَّـهِ مَـا لاقَيْـتُ مِـنْ سُـوْءِ بَعْـضِهِمْ! وَلِـلَّـهِ كَمْ يُـبْلَى القَـضَاءُ بَعَـضَّاضِ!

يُرِيْـــكَ إِذا مَـــا جِئْتَـــهُ كُــلَّ جَفْــوَةٍ كَأَنَّــكَ مِنْــهُ آمِــلٌ بَعْــضَ إِقْــرَاضِ

يُـــشَوِّهُ شَرْعَ اللهِ شَـــكْلاً وَمَــــخْبَراً! وَيَزْهُو بِـبُـرْدٍ حَاسِرٍ عَنْهُ فَـضْفَاضِ!

رَضِــيْتُ بِــشَرْعِ اللهِ حُكْــماً مُنَــزَّهاً وَمَا أَنَا عَمَّنْ شَـوَّهَ الـشَّرْعَ بِـالرَّاضِي

فَــلا تَعْــذِلُوْنِي لَــوْ تَــبَاطَــأَ بِي الأَسَــى وَصِحْتُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ: أَبْطَأُ مِنْ قَاضِي

٣ – «أَبْلاَهُ مُسْتَوْصَفٌ خُصُوْصِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في المُطْرِقِ السَّاهي، وقَدْ دَهَتْهُ مِنْ دُنْيَـاهُ الـدَّوَاهي، وصَـارَ لِـشِدَّةِ مَـصَائبِه، يَنْتِـفُ أَطْـرَافَ شَـوَارِبِه، وعَيْنَـاهُ في المَـدَى مُـحَمْلِقَـتَان، وعَلَى شَفَتِهِ يَتَدَلَّى اللِّـسَان، والمُـسْتَوْصَفُ الـخُـصُوْصِيُّ مَصْيَدَة، ظَاهِرُهُ الرَّأْفَةُ وباطِنُهُ المَنْكَدَة، يَمْتَصُّ أَمْوَالَ المَسَاكِيْن، ويَقْطَـعُ مِنْهُمْ بِسِكِّيْن، الدَّاخِلُ إِلَيْهِ مَـخْدُوْع، والـخَارِجُ مِنْهُ مَفْجُوْع، يُظْهِرُ في الصَّحِيْحِ العِلَل، ويُدْنِي مِنَ العَلِيْلِ الأَجَل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً قَرَصَتْهُ نَمْلَة، ولَـمْ تُـصِبْهُ مِـنَ القَرْصَـةِ أَيَّـةُ عِلَّـة، فوَسْـوَسَ لَـهُ أَصْـحَابُهُ الـخَوَاصّ، بِمُرَاجَعَـةِ المُـسْتَوْصَفِ الـخَاصّ، وذَلِكَ لِسُرْعَتِهِ في إِنْجَازِ المَهَامّ، ولِكَثْرَةِ ازْدِحَامِ المُسْتَوْصَفِ العَامّ، وأَوْصَـوْهُ بِتَـضْمِيْدِ مَكَـانِ القَرْصَـة، وأَلاّ يَـتْرُكَ لِعَـوْدَةِ الأَلَـمِ فُرْصَة، فوَثَبَ الرَّجُلُ إلى المَكَـانِ المُـشَارِ إِلَيْـه، ودَفَـعَ أُجْـرَةَ التَّـضْمِيْدِ

والكَشْفِ عَلَيْه، ثُـمَّ أَشْخَـصُوْهُ إلى طَبِيْـبٍ أَقْـرَع، لِلْفَهْلَـوَةِ في وَجْهِـهِ مَرْتَع، وعَلَيْهِ نَظَّارَةٌ سَمِيْكَة، والـشَّهَادَاتُ تَـمْلأُ شَـبَابِيْكَه، فلَـمَّا رَأَى القَرْصَةَ وَلْوَل، واسْتَدْعَى مُسَاعِدِيْهِ واسْتَعْجَل، وأَمَـرَ بِنَقْلِـهِ إلى غُرْفَـةِ الإسْعَاف، وطَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ بِطَاقَةَ الصَّرَّاف، ثُمَّ شَدَّ حِزَامَ البِنْطَـال، واقْتَـرَبَ مِنْهُ وقَال:

لَقَدْ رَأَيْتُ وَرَبِّنا المَعْبُوْد، بِعَيْنِي التي سَيَأْكُلُها الدُّوْد، قَرْصَةً لَـمْ أَرَ مِثْلَهَـا عَـلَى الإطْـلاق، ولا أَعْـرِفُ أَخْطَـرَ مِنْهـا عَـلَيَّ الطَّـلاق، ولِـذا سَنُجْرِي لَكَ التَّحَالِيْلَ الفَوْرِيَّة، ونُخْضِعُكَ لِبَعْضِ الأَشِـعَّةِ المَقْطَعِيَّـة، فإنْ كَانَتِ النَّتِيْجَةُ كَمَا في البَال، فلا بُدَّ فَوْراً مِنَ الاسْتِئْصَال، وسَـنَقُصُّ أَوَّلاً إصْـبَعَكَ المَقْـرُوْص، فـإنِ انْتَقَلَـتِ العَـدْوَى مِـنَ المَقْـصُوْص، فوَالكَعْبَـةِ الـشَّرِيْفَةِ والمُـصْحَف، لا بُـدَّ مِـنِ اسْتِئْـصَالِ الكَـفّ، وقَـدْ نَسْتَأْصِلُ أَعَلَى السَّاعِد، والبِنْكِرْيَاسَ والكَبِدَ الزَّائد، ورُبَّمَـا اضْـطُرِرْنا إلى بَتْرِ رِجْلَيْك، وقَدْ نَـنْـزِعُ إحْدَى كُلْيَتَيْك، فوَقِّعْ عَلَى وَرَقَـةِ المُوَافَقَـة،

وهُنَا عَلَى الفَاتُوْرَةِ المُرَافِقَة، وبِحَقِّ ما أَكَلْنَاهُ مِنْ عَيْشٍ ومِلْح، إنَّ هَـدَفَنا العِلاجُ ولَيْسَ الرِّبْح، فإِنْ أَخَذَتْكَ بِالشَّكِّ لَـجَاجَة، فإِنَّ الفُلُوْسَ آخِـرُ حَاجَة، ومِثْلُكَ نَرْفَعُهُ عَلَى الرُّؤوْس، ونُعَالِـجُهُ مِنْ غَيْرِ فُلُوْس، ولَكِنَّـهُ ثَمَنُ الدَّوَاءِ وغُرْفَةِ الإنْعَاش، وقِيْمَةُ ما سَنَـنْسَاهُ فِيْكَ مِنْ شَاش.

فوَقَّعَ المِسْكِيْنُ عَلَى الأَوْرَاق، وهوَ بَيْنَ الـذُّهُوْلِ والإشْـفَاق، فلَـمَّا أُجْرِيَتْ لَهُ العَمَلِيَّات، وأَفَـاقَ مِـنْ خَـدَرِ الإغْـمَاءات، شَـخَصَ بِعَيْنِـهِ اليُسْرَى، حَيْثُ لَـمْ يَـجِدِ الأُخْرَى، فَصَوَّبَ عَيْنَهُ الشَّاخِـصَة، ووَجَـدَ جُثَّـتَهُ نَاقِصَة، القُطْنُ يَمْلأُ كُوْعَـه، وسَـاقُهُ اليُمْنَـى مَقْطُوْعَـة، ورِجْلُـهُ اليُسْرَى مَشْلُوْلَة، وإحْدَى أُذُنَيْهِ مَنْشُوْلَة، وضِرْسُهُ الصِّنَاعِيُّ مُنْتَــهَب، إذْ كَانَ مَصْنُوْعاً مِنْ ذَهَب، وشَعَـرَ أَنَّ بَطْنَهُ بَادِي الارْتِـخَاء، لِكَثْرَةِ مـا سُلِبَ مِنْهُ مِنْ أَعْضَاء، وبَيْنَمَــا هُـوَ يَفْحَـصُ المَسَالِك، ويَتَحَقَّـقُ مِـنْ وُجُوْدِها هُنَالِـك، إذْ دَخَـلَ عَلَيْـهِ الطَّبِيْـبُ المُحْتَـال، وبَـارَكَ لَـهُ عَـلَى تَـحَسُّنِ الـحَال، ووَصَفَ لَهُ عِلاجَـاتٍ وَافِـرَة، ودَلَّـهُ عَـلَى الـصَّيْدَلِيَّةِ

المُجَاوِرَة، فأَخَذَ الرَّجُلُ يَبْكِي مِـنَ البَلْـوَى، ويَتَوَعَّـدُ الطَّبِيْـبَ بِالوَيْـلِ والشَّكْوَى، فرَمَقَهُ الطَّبِيْبُ وابْتَـسَم، ونَاوَلَـهُ الوَرَقَـةَ والقَلَـم، وقَـالَ: أُوْصِيْكَ بِحُسْنِ الصِّيَاغَة، ومُرَاعَاةِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ والبَلاغَة، وإنْ شِـئتَ التَّقْوِيْم، فأَنا مُدَرِّسٌ قَدِيْم.

فلَمْ يَمْلِكِ الرَّجُلُ إلاّ أَنِ اسْتَدْعَى ذَوِيْه، فأَخْرَجُوْهُ حَامِلِيْنَ ما بَقِيَ فِيْه، وتَأَمَّلَ مَرَّةً أُخْرَى أَوْصَالَه، فأَنْشَدَ وهوَ عَلَى النَّقَّالَة:

إلَيْـكَ يَـا خَـالِقِي شَـكَاةً ... مِنْ مُدَّعِي الطِّبِّ وَاللُّصُوْصِ

أَتَيْـتُهُمْ طَالِبـاً ضَـمَاداً ... فَعَوَّقُـوْنِي عَـنِ الـخُلُوْصِ

وَأَشْخَـصُوْنِي إلى طَبِيْـبٍ ... وَيْـلاهُ مِنْـهُ وَمِـنْ شُـخُوْصِي

غَـالَى بِإرْجَافِـهِ فَتَـبّاً ... لِشَارِبٍ مِـنْ دَمِـي مَصُوْصِ

وَكَـانَ فِي رَأْسِـهِ بَرِيْـقٌ ... كَأَنَّـهُ لَـمْعَةُ الفُـصُوْصِ

مَنْ صَدَّقَ القُرْعَ فَهْوَ شَخْصٌ ... –لا شَكَّ– مِنْ أَحْمَقِ الشُّخُوْصِ

عَرَّى أَكَاذِيْبَهُمْ ثِقَاتٌ وَذَمَّهُمْ ثَابِتُ النُّصُوْصِ

وَحَذَّرَتْ مِنْهُمُ الوَصَايَا وَحَالَتِي بِالحِذَارِ تُوْصِي

قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُسْتَصِحّاً وَالآنَ أَصْبَحْتُ عُوْدَ خُوْصِ

أَسْعَى بِنَقَّالَتِي حَثِيْثاً كَأَنَّنِي أَمْتَطِي قَلُوْصِي

يَقُوْلُ مَنْ رَاعَهُ بَلائِي: أَبْلاَهُ مُسْتَوْصَفٌ خُصُوْصِي

٤ – «أَجْوَرُ مِنْ أُنْثَى عَلَى أُنْثَى»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في كثيرِ الظُّلْـمِ عظيمِـه، وفي كـارِهِ قَرِيْبِـهِ وحَمِيْمِـه، ولِمَنْ يَزْدَادُ ظُلْمُهُ عَلَى فِئـات، ويَلِـيْنُ لَـدَى أُخْـرَى كَالـشَّاة، وأُفْـرِدَتِ الأُنْثَى بِصِفَةِ الـجَوْر، لأنَّ كَيْدَهَا أَبْعَدُ في الغَوْر، كَمَا أنَّ جَـوْرَ الإنَـاثِ عَلَى الإنَاث، لَهُ وَقَائعُ ثَابِتَةٌ في التُّرَاث.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً تَزَوَّجَ زِيْـجَةً رَابِعَـة، مـنْ فَـتَاةٍ تَـدْرُسُ في الـجَامِعَة، فكَانَـتْ تَـشْكُو لَـهُ طَـيْشَ العَـامِلات، مِـنْ مُوَظَّفَـاتٍ ومُعَلِّـمَات، وكَانَتْ تَدْعُو أنْ يَصِيْرَ الأَمْرُ إلى الرِّجَـال، لِـمَا تَـرَاهُ مِـنْ رَأْفَتِهِمْ عَلَى كُلِّ حَال، أَوْ أَنْ يُـوَلَّى مِثْلُها عَلَـيْهِنّ، لِيَتَمَيَّـزَ لُطْفُهَـا مِـنْ بَيْنِهِنّ.

فشَاءَ ذُو المَنِّ وَالإحْسَان، أنْ تَكُوْنَ مِنْ مَنْسُوْباتِ المَكَان، فـسَارَتْ عَـلَى سِـيْرَةِ المَوَائـل، وجَـاءتْ بِـمَا لَـمْ يَـأْتِ بِـهِ الأَوَائـل، فأَسَـاءتِ

المُعَامَلات، وفَـتَـكَتْ بِالطَّالِبَات، وبَلَغَ زَوْجَها ما هِيَ فِيْهِ مِنْ سُـفُوْل، فأَنْشَأَ مِنْ فَوْرِهِ يَقُوْل:

رَثَيْتُ لَـهَا إذْ طَـالَ بَـوْحُ شَكَاتِـها مِـنَ الغَـبْنِ، وَالمَغْبُـوْنُ لا بُـدَّ أن يُرْثَـى

تُـسَائلُ مَوْلاهَـا بِـأَنْ يَرْفَـعَ الأَذَى وَيَكْبِــتَ عَنْهَــا نِــسْوَةً زِدْنَــهَا بَثّــا

تَقُوْلُ: لَـوِ المَـوْلَى اصْـطَفَانِي مُعِيْـدَةً لَـحَرَّمْتُ هَذا الـجَوْرَ وَالكَيْـدَ وَالـخُبْثا

وَكُنْـتُ أُسَـلِّيْهَا بِعُقْبَـى اصْـطِبَارِها وَأَبْعَثُ فِيْها الفَأْلَ -مِنْ طِيْبَتِـي- بَعْثـا

فَلَــمَّا مَـضَتْ أَيَّامُهَــا وَتَــخَرَّجَتْ أَفَاضَ عَظِيْمُ الـجُوْدِ فَضْلاً عَلَى الغَرْثَى

فَأَخْفَتْ شَكَاوَاها، وَأَبْدَتْ شُرُوْرَهَا وَرَاحَتْ تَـبُثُّ اللُّؤْمَ مِـنْ حَوْلِــهَا بَثّـا

فَقُلْتُ -وَقَدْ أُخْبِرْتُ عَنْ بَعْضِ جَوْرِهَا-: هُوَ الـجَوْرُ قَدْ حَازَتْهُ مِنْ جِنْـسِهَا إرْثـا

وَقَدْ صَدَقُوا.. لا شَيْءَ أَطْيَشُ مِنْ فَتـى وَأَجْوَرُ مِـنْ أُنْثَـى لَــجُوْجٍ عَـلَى أُنْثَـى

٥ – «أَحْمَقُ مِنْ بِرُقْرَاط»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَعْيَاهُ البَلَه، وظَنَّ أَنَّهُ في الـحِذْقِ لا مَثِيْلَ لَـه، وبِرُقْرَاطُ رَجُلٌ مِنَ الأَوَائل، وَلاَّهُ الـسُّلْطَانُ بَعْـضَ الـشَّوَاغِل، وكـانَ كَثِيْرَ الوَسْوَسَةِ والتَّعْقِيْد، مَرَّ بِهِ في عَمَلِهِ العُمْرُ المَدِيْد، ولَـمْ يُنْجِزْ شَـيْئاً ذَا قِيْمَة، ولَـمْ تكُنْ سِيْرَتُهُ قَوِيْمَـة، وهـوَ مُؤَسِّـسُ اللِّجَـانِ الفَرْعِيَّـة، وإِلَيْهِ تُنْسَبُ النَّظَرِيَّةُ البِيْرُقْرَاطِيَّة.

وأَصْـلُ المَثَـلِ أَنَّ كَاتِبـاً لَـدَى بِرُقْـرَاط، عُـرِفَ عَنْـهُ الإِخْـلاصُ والنَّشَاط، وحَدَثَ أَنِ انْتَـهَى حِبْرُ دَوَاتِه، ولَـمْ يَسْتَطِعْ إِنْجَـازَ مَهَمَّاتِـه، فعَـرَضَ مُشْكِلَـتَهُ عَلَى مُدِيْرِه، فعَنَّفَهُ عَلَى إِهْمَالِـهِ وتَبْـذِيْرِه، ورَفَـضَ أَنْ يُزَوِّدَهُ بِمَا أَرَاد، وأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ ثَمَنَ المِـدَاد، وأَحَـالَ طَلَبَـهُ إلى اللِّجَـان، ومَرَّ عَلَى البَتِّ فِيْهِ عَامَان، وطَوَالَ مُـدَّةِ البَـتِّ في الطَّلَـب، لَـمْ يُنْجِـزِ الكَاتِبُ ولا كَتَب، وظَلَّ عَلَى مَكْتَبِهِ كُلَّ نَـهَار، يَنْتَظِـرُ مـا يُـسْفِرُ عَنْـهُ

القَرَار، ثُمَّ صَدَرَ القَرَارُ الـحَاسِم، مُوْصِياً بِمَنْحِ ثَلاثَـةِ دَرَاهِـم، وأَنْ تُشْرِفَ لَـجْنَةٌ عَلَى الكَاتِـب، ولَـجْنَةٌ أُخْـرَى عَلَيْهـا تُرَاقِـب، عَـلَى أَنْ تُـحَقِّقَ لَـجْنَةٌ مَعَهُ بِشِدَّة، لِكَوْنِهِ لَـمْ يُنْجِزْ طَوَالَ تِلْكَ الْمُدَّة.

ولَـمَّا انْتَـهَتِ الْمُسَاءلَةُ والإجْـرَاءات، شَرَعَ الكَاتِـبُ في إنْجَـازِ الْمُعَامَلات، فمَرَّتْ عَلَيْهِ حِسَابَاتُ اللِّجَان، فذُهِلَ مِنْ تَـكَالِيْفِها عَالِيَـةِ الأَثْمَـان، وكَيْفَ أَنَّ صَرْفَ بِضْعَةِ دُرَيْـهِمَات، كَلَّفَ الـخَزِيْنَةَ الآلافَ والمِئات، فحَمَلَ نَفْسَهُ وكُلُّـهُ إحْبَـاط، ودَخَـلَ عَـلَى مُـدِيْرِهِ بِرُقْـرَاط، وأَنْشَدَهُ وهوَ بَيْنَ عِصَابَتِه، وفي يَدِهِ وَرَقَةُ اسْتِقَالَتِه:

بِرُقْـرَاطُ اسْـتَمِعْ مِنِّـي فَـإنِّي ... رَأَيْتُـكَ أَحْمَـقَ الآرَاءِ خِبّـا
عَـلَى أَنِّي عَلِمْتُـكَ لا تُبَـالِي ... وَلا تَرْجُـو مِـنَ الآسِـيْنَ طِبّـا
وَلَكِنِّـي سَأُسْـمِعُكَ احْتِقَـانِي ... وَأَشْـفِي مِنْـكَ قَافِيَـةً وَقَلْبـا
سِنُوْنَ مَضَتْ وَأَنْتَ تَظُـنُّ وَهْماً ... بِأَنَّـكَ أَكْمَـلُ الأَقْـوَامِ لُبّـا

وَلَـسْتَ سِـوَى غَبِـيٍّ حَالَفَتْـهُ حُظُوْظٌ فَارْتَقَى فِي الأَمْـرِ صَـعْبا

فَعَطَّلْـتَ المَـصَالِحَ فِي لِـجَانٍ تُصَيِّـرُ أَسْمَحَ الـحَاجَاتِ كَرْبـا

تَـمُرُّ بِـهَا الـسِّنُوْنَ ولا نَجَـازٌ فَكَمْ خَصْبٍ بِـهَا قَدْ صَارَ جَـدْبا

أَمِـنْ أَجْـلِ اعْتِـمَادِ دُرَيْـهِمَاتٍ تُبِـيْحُ خَزِيْنَـةَ الـسُّلْطَانِ نَـهْبا؟!

تُقِـرُّ لَـهَا الـدَّرَاهِمَ وَافِـرَاتٍ وَفِي إِقْـرَارِ نَـزْرِ المَـالِ تَـأْبى؟!

وَتُـصْدِرُ فِي مُعَـاقَبَتِي قَـرَاراً كَـأَنِّي جِئْـتُ فِي التَّـأْخِيْرِ ذَنْبـا؟!

فَلَـوْ يَـدْرِي بِـكَ الـسُّلْطَانُ يَوْمـاً لَـجَرَّكَ فِي حِبَـالِ الـسُّخْطِ كَلْبـا

فَخُـذْ مِنِّـي مَقَـالاً سَـوْفَ يَبْقَـى وَيَذْهَبُ فِي الوَرَى شَرْقاً وَغَرْبـا:

وَرَبِّي لَـمْ يَكُـنْ فِي النَّـاسِ حَمْقَـى بِـأَحْمَقَ مِـنْ بِرُقْـرَاطٍ وَأَغْبَـى



٦ – «أَحْيَلُ مِنْ مَصْرِف»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ بَرَعَ في الخِدَاع، ثُمَّ فَتَكَ بِضَحَايَاهُ فَتْكَ السِّبَاع، وكانَ يُظْهِرُ اللِّيْنَ والابْتِسَام، وهوَ في بَاطِنِهِ أَلَدُّ الخِصَام، والمَصْرِفُ مَكَانٌ لِحِفْظِ الوَدَائع، ومَرْتَعٌ تُعْتَسَفُ فيهِ الشَّرَائع، يُغْرِي المَسَاكِيْنَ بِالتَّسْهِيْلاتِ والعُرُوْض، ويُوْقِعُهُمْ في حَبَائلِ التَّقْسِيْطِ والقُرُوْض، ويُحَلُّ فيهِ الرِّبا بِاسْمٍ مُخْتَلِف، ولهُ لِجَانٌ تُقِرُّهُ وتَغْتَرِف.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً مِنَ الأَخْيَار، أَوْقَعَهُ سُوْءُ حَظِّهِ عَلَى سِمْسَار، وكانَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ بَعْضُ المَال، ويَرْغَبُ في تَنْمِيَتِهِ في الحَلال، فلَمْ يَسْتَثْمِرْ مَالَهُ في المَصَارِف، وهوَ لأَنْوَاعِ تَلاعُبِها عَارِف، ولَمْ يَكُنْ يُقْبِلُ عَلَى مَشْرُوْع، ولا يُغَامِرُ في مُبَاحٍ ولا مَمْنُوْع، حتَّى يَخْتَبِرَ الوَسِيْطَ والتَّاجِر، ويَتَحَقَّقَ مِنْ طَهَارَةِ المَظَاهِر، فتَعَرَّفَ عَلَى سِمْسَارٍ مَعْسُوْلِ

اللِّسَان، يُبَادِرُ إلى الصَّلاة مَعَ الأَذَان، ثُوْبُهُ لَـمْ يُـجَاوِزْ قَدَمَه، وسِـوَاكُهُ لا يُفَارِقُ فَمَه، دَائمُ الذِّكْرِ والاسْـتِغْفَار، ولَـهُ لِــحْيَةٌ ووَقَـار، فأَلْــهَاهُ المَظْهَرُ عَنِ المَخْبَر، ووَقَعَ فِيْما كانَ يَـحْذَر، فما لَبِثَ السِّمْسَارُ أَنْ نَـصَبَ شَبَكَتَه، وأَغْرَى بِزَائفِ العُرُوْضِ سَمَكَتَه، ومِـنْ فَـوْرِهِ عَــرَضَ عَلَيْـهِ مُسَاهَمَة، وأَقْسَمَ لَهُ أَنْ يُضَاعِفَ دَرَاهِمَه، وسَاقَ لَهُ مِنْ هَوْلِ الكَلام، مـا يُغْرِي أَدْهَى الأَنَام، وحِيْنَ أَطْـرَقَ الرَّجُـلُ في هَوْلِـه، أَرْدَفَ السِّمْـسَارُ بِقَوْلِه:

يا أَخي في الله، إنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاة، وأَنا لا أُصْفِيْكَ إلاّ النُّصْح، ولا أَرْجُو مِنْـكَ أَيَّ رِبْـح، فاسْـمَعْ وُقِيْـتَ ضَـيْرا، وجَـزَاكَ اللهُ خَـيْرا، إنَّ المُسَاهَمَةَ تِلْكَ ذَاتُ جَدْوَى، وقَدْ أَصْدَرَ العُلَـماءُ فِيْها فَتْوَى، كَـما أَنَّــها مَدْعُوْمَةٌ مِنَ الكُبَرَاء، وعِلْيَـةُ القَـوْمِ فِيْهـا شُرَكَـاء، والقَـائمُوْنَ عَلَيْهـا رِجَالٌ أَكَـارِم، مِـنْهُمْ أَبُـو عِكْرِمَـةَ وأَبُـو عَكَـارِم، ولِـذا هِـيَ مَأْمُوْنَـة، وأَرْبَاحُهـا مَـضْمُوْنَة، وثَمَّـةَ آخَـرُوْنَ يَــحْلُمُوْنَ بِاغْتِنَامِهـا، ولَكِنَّهـا

أَوْشَكَتْ عَلَى تَـمَامِها، ولَـمْ يَبْقَ فِيْها غَيْرُ أَسْهُمٍ قَلِيْلَة، والنَّاسُ تَبْذِلُ في اقْتِنَاصِها الـحِيْلَة، وقَدْ بَقِيَ عَلَى إغْلاقِهـا يَوْمَـان، فبَـادِرْ إلى اغْتِنَامِهـا واللهُ الْمُسْتَعَان، ولَوْلا أَنَّنِـي أَحْبَــبْتُكَ في اللهِ العَظِـيْم، لَعَــرَضْتُها عَـلَى غَيْرِكَ يا أَخِي الكَرِيْم، فائْذَنْ لي بِالانْصِرَافِ الآن، لأَنَّنِي أَسْمَعُ صَوْتَ الأَذَان، وأَخْشَى أَنْ أَتَأَخَّرَ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّل، ويَفُوْتَنِي مِـنَ اللهِ الأَجْـرُ الأَجْزَل، فقَدْ صَحَّ في ثَابِتِ المَرْوِيَّات، عَنِ الرِّجَالِ الأَفَاضِلِ الثِّقَـات، أَنَّ نَبِيَّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، خَصَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ بِالفَـضْلِ الأَعْظَـم، ولَعَلَّكَ تُوَافِيْنِي بِالمَالِ هُنَاك، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَدِّدَ خُطَاك.

فوَضَعَ الرَّجُـلُ مَالَـهُ مَـعَ الــخَبِيْث، وحَـدَثَ مـا لا يَــحْتَاجُ إلى حَدِيْث، ثُمَّ سَـأَلَ عَنْـهُ أَهْـلَ الـدِّيْنِ والفَـضْل، فـأَخْبَرُوْهُ عَـنْ خُلُقِـهِ الـخَسِيْسِ الرَّذْل، وأَنَّهُ مُتَسَلِّقٌ عَلَى الدِّيْن، ولَيْسَ بِثِقَـةٍ ولا أَمِـيْن، ثُـمَّ حَذَّرُوْهُ مِنَ الانْخِدَاعِ بِالأَشْكَال، وبِخَاصَّةٍ فِيْما يَتَعَلَّـقُ بِالمَـال، فمَـضَى والـحَسْرَةُ مِلْءُ أَحْشَائه، وأَنْشَدَ وهوَ في غَمْرَةِ اسْتِيَائه:

تَـجَافَيْتُ عَـنْ مَـصْرِفٍ مَـاكِرٍ … لِعِلْمِـي بِـأَنْوَاعِ حِيْلاتِـهِ
يُـرَابِي وَتُفْتِـي لَـهُ لَـجْنَةٌ … يَـجُوْدُ عَلَيْهَـا بِـشَيْكَاتِهِ
يُـحَيِّـيْكَ إنْ جِئْـتَ فِي حَاجَـةٍ … وَفِيْـكَ لَـهُ كُـلُّ حَاجَاتِـهِ
تُرِيْـكَ الأَمَـانَ ابْتِـسَامَاتُهُ … وُكُـلُّ الأَذَى فِي ابْتِـسَامَاتِهِ
فَـإِنْ نَـالَ مِنْـكَ الـذي يَـشْتَهِي … أَرَاكَ فُنُـوْنَ قَذَارَاتِـهِ
فَمَـنْ ذَا يُـزَاحِمُ فِي مَـوْرِدٍ … وَقَـدْ ذَاقَ كَـأْسَ مَرَارَاتِـهِ؟!
فَأَلْقَـانِيَ الـحَظُّ عِنْـدَ امْـرِئٍ … يُـخَبِّرُكَ الطُّهْـرُ عَـنْ ذَاتِـهِ
قَـصِيْرُ الإِزَارِ لَـهُ لِـحْيَةٌ … وَيَـا مَـا أُحَـيْلَى عِبَارَاتِـهِ
يُنِيْلُـكَ خَـالِصَ تَـجْرِيْبِهِ … وَيُـصْفِيْكَ عَـذْبَ مَـشُوْرَاتِهِ
وَثِقْـتُ بِظَـاهِرِ تَدْلِيْـسِهِ … ولَـمْ أَبْـلُ بَـاطِنَ نِيَّاتِـهِ
فَـأَحْرَزَ مَـالِي وَوَلَّى بِـهِ … فَلِلَّـهِ أَشْـكُو خَـسَاسَاتِهِ
لَقَـدْ كَـانَ أَحْيَـلَ مِـنْ مَـصْرِفٍ … وَأَلْـسَعَ مِـنْ كُـلِّ حَيَّاتِـهِ
فَـتَـبّاً لَـهُ كَاذِبـاً فَـاجِراً … يَـرَى الـدِّيْنَ ضِـمْنَ تِـجَارَاتِهِ

٧ – «أَرْخَصُ مِنْ دَال»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الشَّيْءِ المُمْتَـهَن، حِيْنَ يَـحُوْزُهُ الرَّعَاعُ بلا ثَمَـن، والدَّالُ حَرْفٌ مُـخْتَصَر، يَدُلُّ عَلَى عِلْـمٍ وأَثَـر، وحامِلُـهُ حَاصِـلٌ عَـلَى الدُّكْتُوْرَاه، بَعْدَ أنْ أَفْنَى في تَـحْصِيْلِها صِبَاه.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً جَدَّ في تَـحْصِيْلِه، ورَضِيَ مِنَ العَيْشِ بِقَلِيْلِه، فعُيِّنَ في جَامِعَتِهِ مُعِيْدا، وسَلَكَ في العِلْمِ دَرْباً مَدِيْـدا، وقَنِـعَ مِـنَ المَـالِ بِالنَّـزْر، وفازَ أَتْرَابُهُ بِجَزْلِ الأَجْر، وبَقِيَ عَلَى حَالَتِه، يَعْمَلُ في رِسَـالَتِه، ويُنْجِزُ مَرْحَلَةً تِلْوَ مَرْحَلَة، حَتَّى وَصَلَ لِـمَا سَارَ لَه، بَعْدَ سِنِيْنَ عِجَاف، رَضِيَ فِيها بِالكَفَاف.

وحينَ ذاقَ الوَبَال، وأَصْبَحَ ذَا دَال، سَمِعَ عَـنْ أُنـاسٍ تَدَكْتَــرَت، وفي حَلْبَةِ الزَّهْوِ تَـبَخْتَـرَت، ونَالَـتْ مِـنَ الـشَّهَادَةِ مُنَاهـا، بَـيْنَ عَـشِيَّةٍ وضُحَاها، فسَأَلَ عَنِ الـحَاصِل، فأُخْبِرَ بالمَهَازِل، واتَّضَحَ لـهُ أَنَّ تِلْـكَ

الفِئة، حَصَلَتْ عَلَى مِئةٍ مِنْ مِئة، وتَقْدِيْرُهُمْ مِنْ قَبْلُ مَقْبُوْل، ولا تَــكَادُ تَرْقَى بِــهِمْ عُقُوْل، وأَنَّ جِهَاتِــهِمُ المَانِحَة، عَقَدَتْ مَعَهُمْ صَفْقَةً رَابِحَــة، وحَلُّوا كِيْسَهُمُ المَرْبُوْط، فقَبِلُوا بلا شُرُوْط.

فزَفَرَ صَاحِبُنا وشَهَق، وقَرَّبَ اليَــرَاعَ والوَرَق، ثُمَّ اسْتَلْهَمَ مُعَانَاتَــهُ واسْتَحْضَر، وكَتَبَ بَعْدَما اسْتَعْبَر:

ثَــمَانِ سِــنِيْنَ اقْتَــدْتُ فِيْهَــا مَطَامِــحِي	وَكُنْتُ بِــهَا في أَسْــوَأِ الــحَالِ وَالبَــالِ
أُصَرْصِرُ أَقْلامِــي وَأَحْــشُو دَفَــاتِرِي	وَأَسْهَرُ حَتَّى يَسْأَلَ النَّجْمُ عَــنْ حَــالي
أَخُــطُّ وَأَمْـــحُو، ثُــمَّ أُطْــرِقُ مُتْعَبــاً	وَأَنْهَــضُ وَالإعْيَــاءُ يُنْهِــكُ أَوْصَــالي
أُرَاسِـــلُ مُهْتَـــمّاً، وَأَسْـــأَلُ عَالِـــماً	وَأَبْــذِلُ في نَيْــلِ المَرَاجِــعِ أَمْـــوَالي
إذا أَبْــصَرَتْ أُمِّــي عَنَــائي تَــحَــسَّرَتْ	وَقَالَتْ: شَــفَاكَ اللهُ يــا وَلَــدي الغَــالي
وإنْ أَبْصَرَتْني زَوْجَتِي صَرَخَتْ أَسَــىً	وَقَالَتْ: إلامَ العَيْشُ مِنْ دُوْنِ أَطْفَالِ؟
فأُعْرِضُ عَــنْ هَــذِي وَتِلْــكَ، وأَنْثَنِــي	أُسَـــطِّرُ أَحْلامِــي، وَأَرْسِـــمُ آمَــالي

إلى أَنْ تَــرَاءَى لِي المُـرَادُ، وَطَـابَ لِي قِطَـافٌ أَرَانِي الوَيْـلَ حَتَّـى تَـسَنَّى لِي

فَلَـــمَّا تَدَكْتَــرْتُ انْفَجَعْــتُ بِثُلَّـــةٍ أَبَاحَتْ حِمَى التَّعْلِيْمِ في حِصْنِهِ العَـالِي

أَغَارُوا عَلَى الدَّالاتِ كَالقَمْـلِ حِيْنَمَـا يُغِيْرُ عَـلَى المَجْـرُوْبِ في غَفْلَـةِ الفَـالِي

وَفَــتَّحَتِ الآمَـالُ أَبْوَابَــهَا لَــهُمْ وَلا عَجَـبٌ! فَالمَـالُ فَـتَّاحُ أَقْفَـالِ

تَدَاعَوْا، ولَـمْ يَثْنُوا إلى الـدَّرْسِ رُكْبَـةً وَمَــا قَــرَؤوا إلا رَسَــائلَ جَــوَّالِ

وَنَــالُوا مُنَــاهُمْ في لَيَــالٍ سَرِيْعَـــةٍ كَأَنَّــهُمُ مِـنْ حَلْبَـةِ الـسَّبْقِ في (رَالي)

وَتَـاهُوا، فَـإِنْ نَـادَيْتَهُمْ دُوْنَ دَالِــهِمْ رَمَوْكَ بِطَـرْفِ المُسْتَقِلِّ لَـكَ القَـالي!

فَقُلْـــتُ: وَرَبِّي لا رَفَعْـــتُ شَــهَادَةً يُبَاهِي بِـهَا في النَّاسِ مَنْ عَقْلُـهُ خَـالي

خُذُوْهَا وَأَعْطُونِي سِنِيْنِي التي مَـضَتْ ورُدُّوا عَـلَيَّ الجَهْـلَ.. إِنِّي لَــهَا سَـالي

مِـنَ العَـارِ أَنْ تَـأْوِي إلى الـوَكْرِ قَمْلَـةٌ وَيَقْبَـعَ صَــقْرٌ فَـوْقَ هَامَـةِ مِتْفَــالِ

فَـلا شَيْءَ أَسْـمَى مِـنْ إِبَـاءٍ مُـــمَنَّعٍ وَأَهْوَنُ مِنْ قَمْلٍ، وَأَرْخَصُ مِـنْ دَالِ

٨ – «أَشْفَعُ مِنْ وَاو»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في كَثِيْرِ الشَّفَاعَة، وَاجِبِ التَّقْدِيْرِ والإطَاعَة، و(وَاوٌ) اسْمُ رَجُلٍ مِنَ العَمَالِيْق، يُقَالُ إِنَّهُ يَفْرِجُ الضِّيْق، وهوَ مِنْ عِلْيَةِ القَوْم، ولَهُ نَسْلٌ إلى اليَوْم.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ (وَاواً) زادَ عَلَى قَوْمِهِ ضَخَامَة، وكَانَتْ لا تَصِلُ إلى قَامَتِهِ قَامَة، وبَلَغَ طُوْلُهُ مِئَةَ ذِرَاع، ويَمْلِكُ أَيْضاً الدِّيَارَ والضِّيَاع، وحُكِيَ أَنَّهُ يَصْرَعُ الفِيْلَ بِاللَّمْس، ثُمَّ يَشْوِيْهِ عَلَى الشَّمْس، وإذا ظَمِئَ شَرِبَ بَحْرا، ومَتَى احْتَقَنَ أَفْرَزَ نَهْرا.

فكَانَتِ الجَمَاعَاتُ حَوْلَهُ تُقِيْم، وتَلتَمِسُ فَضْلَ خَيْرِهِ العَمِيْم، وتُطِيْعُه لِحِمَايَتِه، ومَخَافَةِ جِنَايَتِه، فلَمْ يَكُنْ يُرَدُّ لهُ مَطْلَب، ولا لِعَاصِيْهِ مِنْهُ مَهْرَب، وبَقِيَتْ لهُ ذُرِيَّة، مُنْتَشِرَةً في البَرِيَّة، ما لَهَا عُشْرُ

ضَخَامَتِه، ولا هُطُوْلُ غَـمَامَتِه، فلَـمَّا هَلَكَ وبَاد، ونُصِبَتْ فَوْقَهُ الأَوْتَاد، وَجَدُوا عَلَى دَارِ وُجُوْمِه، شِعْراً لأَحَدِ خُصُوْمِه:

أَيَا (وَاوُ) خَبِّرْنِي عَـنِ المَـوْتِ وَالـبِلَى   وَعَنْ مَـجْدِكَ الفَانِي وَعَنْ قَبْرِكَ الـخَاوِي

لَقَـدْ كُنْـتَ فِي الأَقْـوَامِ حَيّـاً مُعَظَّـماً   وَهَا قَدْ طَوَاكَ اليَوْمَ عَنْ عَيْشِنَا طَـاوِي

قَهَرْتَ رِجَالاً، وَاغْتَصَبْتَ حُقُـوْقَهُمْ   وَنِلْتَ الذي لَـمْ يَـحْوِهِ فِي الوَرَى حَـاوِي

وَقَسَّمْتَ خَـيْرَ الأَرْضِ قِـسْمَةَ جَـائِرٍ   فَأَشْبَعْتَ مَنْ تَـهْوَى، وَمَاتَ بِكَ الطَّاوِي

تَـشَفَّعْتَ فِي الأَدْنَـيْنَ حَتَّـى رَفَعْـتَهُمْ   وَأَمَّـا سِـوَاهُمْ فَالرَّجَـاءُ بِـــهِمْ هَـاوِي

لَقَدْ جُرْتَ حَتَّى قِيْلَ: يَا هَوْلَ جَـوْرِهِ   وَحَابَيْتَ حَتَّى قِيْلَ: أَشْـفَعُ مِـنْ (وَاوِ)

فَأَيْنَ الذِيْنَ اليَوْمَ تَرْقُـبُ حَـــمْدَهُمْ؟   لَقَدْ ذَهَبُوا وَاسْتَخْلَفُوا حَوْلَكَ العَـاوِي

٩ – «أَشْكَلُ مِنْ حَدَاثِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ كَثُرَتْ طَلاسِمُه، وأَشْكَلَتْ عَلَى الأَفْهَامِ تَمَاتِمُه، والحَدَاثِيُّ رَجُلٌ لا يَعِي ما يَقُوْل، ولا تَصِلُ إلى هَذْرِهِ العُقُوْل، يَكْتُبُ لِنَفْسِه، ويَتَبَرَّأُ مِنْ أَمْسِه، كَثِيْرُ الانْتِقَادِ والضَّجَر، ويَرَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ البَشَر، نَاقِدُهُ في رَأْيِهِ رَجْعِيّ، وهوَ بِطَبْعِهِ نَفْعِيّ.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ شَابّاً أَحَبَّ الأَدَب، وبَذَلَ في جَنْيِ رَحِيْقِهِ ودَأَب، فمَرَّ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأَعْلام، وأَخَذَ عَنْهُمْ ما يَرْوِي الأُوَام، فما انْكَفَأَ عَلَى مَذْهَب، ولا اكْتَفَى مِنْهُ بِمَشْرَب، فجَمَعَ مِنَ الأَدَبِ المَحَاسِن، وانْتَقَى مِنَ المَنَاجِمِ المَعَادِن، فسَمِعَ عَنْ رَجُلٍ وَاسِعِ الذِّكْر، لَهُ مُصَنَّفَاتُ نَقْدٍ وشِعْر، فأَمَّهُ وقَصَدَه، وأَعْلَمَهُ مَقْصَدَه، والْتَمَسَ مِنْهُ الوِفَادَة، وتَحْصِيْلَ الإفَادَة، فما لَبِثَ الرَّجُلُ أنْ رَمَقَهُ شَزْرا، وأَطْرَقَ مَرَّةً وصَعَّدَ أُخْرَى، ثُمَّ اسْتَرْسَلَ يَقُوْل، وفي الفَرَاغِ يَجُوْل:

يَجِبُ أَوَّلاً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنَ الرُّفَات، وتَنْقَطِعَ عَنْ شُيُوْخِكَ النَّكِرَات، وتَمْسَخَ أَفْكارَكَ البَالِيَة، وتَتَجَرَّدَ مِنْ أَنَاكَ العَالِيَة، فحِيْنَ

تَـتَـبَلْوَرُ فِي بَوْتَقَـة، سَـتُدْرِكُ الـسِّيَاقَاتِ والأَنْـسِقَة، ولَـنْ يَكُـوْنَ لَـكَ صِيْت، قَبْلَ أنْ تَفْهَمَ التَّفْتِيْت، ولا غِنىً لَكَ عَنِ التَّمَظْهُر، وحَلِّ شَفْرَةِ (الـــهَمْبُرْغُر)، فكُــلُّ المَـــنَاهِجِ التَّارِيْـــخَانِيَّة، تُعْوِزُهَـا الدِّيْنَامِيْكِيِّـة الظَّاهِرَاتِيَّة، ومُؤَسِـسُ سُلْطَتِهَا شَـطَح، فِي إسْـقَاطَاتِ المُـصْطَلَح، ولا سِيَّـمَا أنَّ النَّاقِدَ (فِيْبَـرِغْلاس)، لَـمْ يَطَّلِعْ عَلَى نَظَرِيَّةِ هِيْمُوْرَاس، وظَـلَّ فِي صِرَاعٍ مُشْتَبِك، مَعَ الرِّوَائِيِّ (مُـوْفِنْ بِـك)، ومَـعَ أنَّـــهُما أفَـادَا مِـنَ التَّشَكُّلاتِ الإمْبِرْيَاقِيَّة، إلاّ أنَّـــهُما يَفْتَقِـرَانِ إلى الـشَّفَافِيَّة، ولَـــهُما مِـنْ (كِرِسْتِيَنْ دُيُوْر)، مَوْقِـفٌ تَـأَزُّمِيٌّ مَـشْهُوْر، فَالـسِّيْمِيُوْطِيْقِيَا فِي رَأْيِـــهِما مُؤَشِّرَات، وهَذَا هُوَ رَأْيُ (دَانْكِـنْ دُوْنَـات)، ومَهْـما يَكُـنْ بَيْـنَهُمْ مِـنِ انْشِطَاح، فهُمْ يَتَّفِقُوْنَ عَلَى مَبْدَإِ الانْـزِيَاح، مَـعَ أنَّ المُـتَخَيَّلَ النَّـصَّانِيّ، يَتَقَاطَعُ مَعَ التَّمَحْوُرِ الزَّمَكَانِيّ.(١)

---

(١) قَالَ الرَّاوِي: أَقْحَمَ الـحَدَاثِيُّ الأَسْمَاءَ المُحَاطَةَ بِقَوْسَيْنِ تَـمَادِياً في الاسْـتِعْرَاض، وإلاّ فهـيَ أَسْـمَاءٌ أَجْنَبِيَّةٌ لِبَعْضِ الأَطْعِمَة، والمُنْتَجَاتِ التِّجَارِيَّة.

وما زَالَ الرَّجُـلُ يَبْــرِمُ ويَفْتُـل، ويَمُـطُّ شِـدْقَيْهِ ويَـسْعُل، ويَرْفَـعُ نَظَّارَتَهُ ويَضَع، ويَشْبِكُ يَدَيْهِ ويَدَع، والفَـتَى أَثْنَاءَ ذَلِـكَ يُبْـدِي سَـأَمَه، ويَفْغَرُ في وَجْهِ الشَّيْخِ فَمَـه، فـمَا أَحَـسَّ بِـهِ ولا دَرَى، إلاّ حِـيْنَ فَارَقَـهُ وجَرَى، ولَـمَّا خَفَّ عَنْهُ الذُّهُوْل، أَنْشَأَ مِنْ فَوْرِهِ يَقُوْل:

أَلْقَانِيَ الرَّأْيُ التَّعِيْسُ عَـلَى امْـرِئٍ ... تَـــتَنَافَرُ الكَلِـمَاتُ في أَوْصَـــافِهِ

خَـــالِي الفِنَــاءِ مُرِيْبَـــةٌ لَفَـــتَاتُهُ ... مُسْتَوْحِشُ النَّظَراتِ مِنْ أَضْـيَافِهِ

لازَمْتُــهُ أَبْغِــي جَنَـاهُ فَخَـصَّنِي ... بِحَـدِيْثِ مَـسْلُوْبِ الإرَادَةِ تَافِـهِ

أَرَأَيْــتَ أَشْـكَلَ مِـنْ حَـدَاثِيٍّ إذا ... لاكَ الكَلامَ، وَهَزَّ مِـنْ أَعْطَافِـهِ؟

يَـهْذِي بُمُلْتَبِسِ الكَلامِ، فَقُلْ لِمَـنْ ... رامَ التَّـشَعْوُذَ وَالكَهَانَـةَ: وَافِـهِ

لَـوْ لَــمْ أَقُـلْ وِرْدِي غَـدَاةَ أَتَيْتُـهُ ... لَـخَرَجْتُ مَـحْمُوْلاً عَـلَى أَكْتَافِـهِ

لَـمْ أَدْرِ مَـا مَغْـزَاهُ مِـنْ تَــمْطِيْطِهِ ... شِــدْقَيْهِ وَهْـوَ يَلُــجُّ في إرْجَافِـهِ

يَزْهُـو بِمُـصْطَلَحَاتِهِ، وَيَـسُوْقُ لِي   أَعْلامَهَـا، وَيَــحُطُّ مِـنْ أَسْـلافِهِ

وَشْـيٌ مِنَ التَّغْرِيْبِ مُلْتَحِـفٌ بِـهِ   وَيَظُنُّ أنَّ الوَعْيَ تَـحْتَ لِــحَافِهِ

قَـدْ حَيَّــرَتْنِي مِنْـهُ كُـلُّ عِبَـارَةٍ   وَعَيِـيْتُ كُلَّ العِـيِّ عَـنْ أَهْدَافِـهِ

١٠ – «أَضْيَعُ مِنْ رَاتِب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ بَلَغَ بِهِ الضَّيَاعُ مُنْتَـهَاه، وتَـبَدَّدَتْ عَلَى دُرُوْبِ حَاجَاتِهِ خُطَاه، والرَّاتِبُ مَالٌ يُقْبَضُ كُلَّ شَهْر، يَـحْصُلُ عليـهِ العَامِـلُ نَظِيْرَ أَجْر، ولا يَكَادُ يُغْنِي مِنْ جُوْع، ويَتَـبَدَّدُ في أَوَّلِ أُسْبُوْع.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً كَانَ يُنْجِزُ مُعَامَلَة، فلَقِيَ منَ العَـامِلِيْنَ أَسْـوَأَ مُعَامَلَة، هَذَا يُبْعِدُ عَنْهُ ويُشِيْح، وذَاكَ يَعْبِسُ بَوَجْهٍ قَبِيْح، وثَالِثٌ يَـهُشُّ بِالصَّحِيْفَةِ مُرَاجِعَه، وهوَ يَـحُلُّ الكَلِـمَاتِ الـمُتَقَاطِعَة، ورَابِـعٌ يَعْتَـذِرُ بِالانْشِغَال، وهـوَ يَـهْمِسُ بِـهَاتِفِهِ الـجَوَّال، وخَـامِسٌ مـا لَـهُ عَـنِ الـحَاسُوْبِ الْتِفَات، وهوَ غَارِقٌ في مَوَاقِعِ المُحَادَثَات.

حَتَّى إذا طَافَ بِالمَبَانِي والمَكَاتِب، وعَادَ مِنْ حِيْثُ أَتَى كَالـخَائب، أَشَارَ عَلَيْهِ مُـحِبُّوْه، بِما أَوْصَاهُ بِهِ أَبُوْه، فتَـذَكَّرَ مُوَظَّفـاً في الـدَّائرَة، قَـدْ

أَرْضَعَتْهُ جَدَّتُهُ العَاشِرَة، فقَصَدَهُ وحَيَّاه، وَأَخْبَـرَهُ عَنْ مَسْعَاه، فـما عَـادَ إِلَيْهِ لَـمْحُ طَرْفِه، إلاّ ومُعَامَلَـتُهُ مُنْجَزَةٌ في كَفِّه، ثُمَّ أَنْشَدَه، حِيْنَ أَنْجَدَه:

رَمَتْنِي الـحُظُوْظُ عَـلَى عُـصْبَةٍ تُصَعِّبُ مِنْ مَطْلَبِي كُـلَّ هَـيْنْ

أُطَــارِدُهُمْ وَاحِــداً وَاحِــداً وَأَرْجِـعُ مِـنْهُمْ بِخُفَّـي حُنَـيْنْ

فَمُذْ أَفَـلَ الفَـأْلُ عَـنْ مَطْلَعِـي وَعُدْتُ كَمَا جِئْتُ صِفْرَ اليَدَيْنْ

قَــصَدْتُكَ مُلْتَمِــساً نَخْــوَةً رَضَعْنَا بِـهَا في الصِّبَا رَضْعَتَيْنْ

فَــأَنْجَزْتَ لي مَطْلَبــاً هَــدَّني وَأَنْـهَيْتَ مَسْعايَ في لَـمْحِ عَيْنْ

وَقَدْ كُنْـتُ أَضْـيَعَ مِـنْ رَاتِـبٍ تَفَـرَّقَ بَـيْنَ مُكُـوْسٍ ودَيْــنْ

فَــــشُكْراً لِـــــجَدَّتِنا مَــــرَّةً وشُــــكْراً لأَثْــــدَائها مَــرَّتَيْنْ

١١ – «أَغْدَرُ مِنْ كُرْسِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ غَرَّهُ المَنْصِبُ المُؤَقَّت، فشَقَّ عَلَى مَنِ اسْتُؤْمِنَ عَلَيْهِمْ وأَعْنَت، وراحَ يُسِيْءُ ويَبْطِش، ويَلْكُمُ هَذا ويَخْدِش، والكُرْسِيُّ مَنْصِبٌ دَوّار، لَيْسَ لَهُ قَرَار.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ مُوَظَّفاً غَبَنَهُ مُدِيْرُهُ الجَدِيْد، اللابِسُ وَهْماً حِلْيَةَ هَارُوْنَ الرَّشِيْد، فزادَ عَلَيْهِ المَشَقَّة، وسَلَبَهُ كَرامتَهُ وحَقَّه، ومَارَسَ مَهَامَّ الخُلَفَاء، فنَهَى وأَمَرَ بِما شَاء، وتَعَسَّفَ في القَرَارَاتِ والأَوَامِر، وأَهَانَ أَكَابِرَ القَوْمِ والأَصَاغِر، وجَعَلَ العَامِلِيْنَ في احْتِدَام، وأَوْقَعَهُمْ في تَحَزُّبٍ وصِدَام، ولَمْ يَعْتَدَّ إلا بِمُشَابِهِيْهِ في العُنْف، وأَزْرَى بِمَنْ طَابَعُهُمُ اللِّيْنُ واللُّطْف، ووَصَمَهُمْ بِالإهْمَالِ والرَّخَاوَة، ورَأَى أنَّ التَّمَيُّزَ في القَسَاوَة، وهوَ مَعَ تَشَدُّقِهِ بالأَنْظِمَةِ حِيْنَ يُوَاجَه، يَتَحَايَلُ عَلَيْها بِمَا يُوَافِقُ مِزَاجَه، فكَمْ حَابَى عُصْبَتَهُ العَنِيْفَة، وكَمْ حَبَا

سِوَاهُمْ تَطْفِيْفَه، وقَدْ غَابَ عَنْهُ أنَّ كُرْسِيَّهُ هَشّ، وأنَّـهُ سَـيَجْلِسُ بَعْـدَهُ عَلَى قَشّ، وحِيْنَئِذٍ يَـجْنِي الشَّوْكَ زَارِعُه، ويَنْدُبُ ثَوْبَ المُرُوْءَةِ خَالِعُه.

وما هِيَ إلا شُهُوْرٌ ولَّتْ مُدْبِرَة، حَتَّى رُكِـلَ المُـدِيْرُ عَـلَى المُـؤَخِّرَة، فعَادَ لا هَيْبَةَ لَهُ ولا قِيْمَة، وانْفَضَّتْ عَنْهُ عُصْبَتُهُ اللَّئِيْمَة، وصَارَ لِـمَا هُوَ فِيْهِ مِنْ إيْـحَاش، يُنَاجِي عَامِلَ الصِّيَانَةِ والفَرَّاش، وكَـمْ شُـوْهِدَ وهـوَ يَـهُشُّ الذُّبَاب، ويَعْبَثُ بِأَنْفِهِ مِنْ غَيْرِ احْتِسَاب.

وقَبْلَ أَنْ يُـخْلَعَ المُدِيْرُ مِنْ مَنْصِبِه، رَأَى المُوَظَّفُ أَنْ يَـخُصَّهُ بِتَعَتُّبِه، إذْ كَـانَ بَيْـنَهُما وُدٌّ قَـدِيْم، وقَـدْرٌ مِـنَ الإخَـاءِ حَمِـيْم، فانْـدَفَعَ بِوَاجِـبِ الصُّحْبَةِ المُضَاعَة، لِيُبَصِّرَهُ بِمَـا هُوَ فِيْهِ مِنْ بَـشَاعَة، فـنَظَمَ فِيْـهِ قَـصِيْدَةً عَلَّهَا تُطِبُّه، وافْتَـتَحَها بِخِطَابِـهِ بِـمَا يُـحِبُّه، ثُـمَّ دَخَـلَ عَلَيْـهِ مَكْتَـبَه، وأَنْشَدَهُ حِيْنَمَـا انْتَـبَه:

حَنَانَيْكَ يَا ذَا المَجْدِ والجَاهِ والعُلا ... وَيَا قَمَرَ الدُّنْيَا وَيَا مَطْلِعَ الشَّمْسِ

أَصِخْ لِصَدِيْقٍ لَمْ يَحُلْ عَنْ وَفَائهِ ... ولَمْ يَنْسَ وُدّاً صَانَهُ لَكَ بِالأَمْسِ

رَأَيْتُكَ مَقْطُوْعاً عَنِ الرَّأْيِ سَادِراً ... وَتَخْتَالُ في الأَنْحَاءِ مُنْتَفِخَ الرَّأْسِ

تُسِيْءُ إِلَيْنَا شَاتِماً وَمُلاسِناً ... وَتَفْتِكُ فِيْنَا مِثْلَ عَنْتَرَةَ العَبْسي

أَهَنْتَ شُيُوْخاً، وَاعْتَسَفْتَ أَحِبَّةً ... وَطِشْتَ كَمَا قَدْ طَاشَ في يَدِكَ (البِبْسي)

فَقُلْتُ: صَدِيْقِي حَادَ عَنْ سَنَنِ الهُدَى ... وَظَنَّ بِأَنَّ الثُّوْمَ أَحْلَى مِنَ الدِّبْسِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّقَّ زَادَ اتِّسَاعُهُ ... وَأَصْبَحْتَ أَعْرَى مِنْ مُجَرَّدَةِ اللُّبْسِ

أَتَيْتُ أَقُوْلُ: اسْمَعْ نَصِيْحَةَ مُشْفِقٍ ... أَتَاكَ مِنَ التَّعْجَالِ مُسْتَأْجِراً (تَكْسي)

تَنَبَّهْ فَمَا شَيءٌ أَخَسَّ مِنَ الأَذَى ... وَأَخْبَثَ مِنْ لُؤْمٍ وَأَغْدَرَ مِنْ كُرْسي

وَهَذَا ولَمْ تُمْنَحْ سِوَى بَعْضِ سُلْطَةٍ ... فَكَيْفَ إذا الكُرْسِيُّ تَحْتَكَ قَدْ أُرْسي؟!

سَتَشْنِقُ مُسْتَاءً، وَتَصْلِبُ شَاكِياً ... وَأَهْوَنُنَا سُخْطاً يُقَادُ إلى الحَبْسِ!



١٢ – «أَغْنَجُ مِنْ مِسْخ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ تَـكَلَّفَ النُّعُوْمَة، وسَلَكَ في التَّمَايُـعِ مَـسَالِكَ مَذْمُوْمَة، والمِسْخُ جِنْسٌ مِنَ البَشَر، يَـجْمَعُ بَيْنَ الأُنْثَـى والـذَّكَر، وهـوَ أَصْلاً فَتىً نَاقِصُ الرُّجُوْلَة، يُطِيْـلُ أَمَـامَ المِـرْآةِ مُثُوْلَـه، ويَلْـبَسُ أَضْـيَقَ المَلابِس، ولأُخْتِهِ دَائماً يُنَافِس، وقَدْ يُطَـوِّرُ في الغَـنَجِ سُـلُوْكَه، فَيُـبَرْوِزُ وَجْهَهُ بِأَغْرَبِ سَكْسُوْكَة.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً قَضَى عَلَيْـهِ العَنَـاء، أنْ يُـحَقِّقَ رَغْبَـةَ أُخْتِـهِ الرَّعْنَاء، وكَانَـتْ فَـتَاةً رَدِيْئَـةَ النَّـصِيْب، وسَـبَقَ أنْ طَلَبَهـا أَكْثَـرُ مِـنْ خَطِيْب، فكَانَتْ تُعْلِـنُ لأَهْلِهـا عَـنْ إحْجَامِهـا، لِكَـوْنِهِمْ لا يُـشْبِهُوْنَ فَارِسَ أَحْلامِها، وأنَّـها لا تَرْغَـبُ أنْ يَـجْمَعَها زِفَـاف، إلاّ مَـعَ مَـنْ يُشْبِهُوْنَ نُجُوْمَ الغِلاف، وبِخَاصَّةٍ مَنْ تَظْهَرُ عَلَيْهِمُ المُيُوْعَـة، ولَـهُمْ في الغِنَاءِ أَعْمَالٌ مَسْمُوْعَة، فرَثَـى أَخُوْهـا لِرَغْبَتِهـا المَهْوُوْسَـة، وخَـافَ أنْ

تُدْرِكَ أُخْتَهُ العُنُوْسة، فطَافَ يَبْحَثُ عَمَّنْ تِلْكَ صِفَاتُه، وطَالَ في الرِّجَالِ تَفَرُّسُهُ والْتِفَاتُه، فلَمْ يَجِدْ في أُولَئكَ طِلابَه، فَاسْتَشَارَ في الأَمْرِ أَصْحَابَه، فأَخْبَرُوْهُ أَنَّهُمْ يَكْثُرُوْنَ في الأَمَاكِنِ القَمِيْئة، وفي المَقَاهي الخَافِتَةِ والشَّوَارِعِ المُضِيْئة، ولا يَخْرُجُوْنَ إلاّ في المَسَاء، ولا يَكَادُوْنَ يُمَيَّزُوْنَ عَنِ النِّسَاء.

ومِنْ فَوْرِهِ وَثَبَ الأَخُ الحَرِيْص، وبَعْدَ طُوْلِ بَحْثٍ وتَمْحِيْص، عَثَرَ عَلَى فَتىً نَاعِمِ الأَطْرَاف، وتَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مُعْظَمُ الأَوْصَاف، وكَانَ قَابِعاً في المَقْهَى وَحْدَه، يَدْهُنُ بِبَعْضِ المُرَطِّبَاتِ جِلْدَه، ويَرْفَعُ بَعْضَ خُصُلاتِهِ عَنْ جَبِيْنِه، ثُمَّ اتَّكَأَ بِأَسْفَلِ فَكِّهِ عَلَى يَمِيْنِه، وأَرْخَى حِزَامَ بِنْطَالِهِ اللَّزَّاز، وظَلَّ مُسْتَرْخِياً يُشَاهِدُ التِّلْفَاز، وأَثْنَاءَ انْسِجَامِهِ في المُشَاهَدَة، هَزَّزَ عِطْفَيْهِ ولَوَّى سَاعِدَه، وأَخَذَ يَتَمَايَلُ مَعَ الأُغْنِيَة، وهوَ في حَالَةٍ مُنْتَشِيَة، ثُمَّ الْتَفَتَ في نُعُوْمَةٍ واسْتَدَار، واسْتَدْعَى النَّادِلَ (كُوْمَار)، وطَلَبَ أَنْ يُغَيِّرَ القَنَاة، وأنْ يُحْضِرَ لهُ مِرْآة، فأَعَادَ تَنْعِيْمَ

وَجْهِهِ البَرَّاق، ثُمَّ شَكا إلى النَّادِلِ غَبَاوَةَ الـحَلاَّق، وكَيْفَ أنَّهُ لِقِلَّةِ خِبْرَتِه، كَادَ يَقُصُّ طَرَفَ طُرَّتِه، وكَيْفَ أنَّ خُشُوْنَةَ يَدَيْه، أَوْشَكَتْ أنْ تَـجْرَحَ خَدَّيْه، فنَظَرَ إليهِ النَّادِلُ بِازْدِرَاء، ثُمَّ تَرَاجَعَ عَنْهُ إلى الوَرَاء.

وكَانَ الأَخُ يَتَرَقَّبُ فُرْصَةً مُنَاسِبَة، لِكَي يُدَاخِلَهُ ويَـجْلِسَ جَانِبَه، وفَجْأَةً انْتَفَضَ الفَتَى وثَار، لَـمَّا تَسَلَّلَ إليهِ صُرْصَار، فانْتَهَزَ عَجِلاً الفُرْصَةَ واغْتَنَم، ووَثَبَ يَسْحَقُ الصُّرْصَارَ بِالقَدَم، فشَكَرَهُ الفَتَى ودَعا لَه، وكَانَ مِنْ ضِمْنِ ما قَالَه:

يَا رَبِّ احْفَظْهُ مِنَ الـحَشَرَات، واحْمِهِ مِنَ القِشْرَةِ والتَّشَقُّقَات، وارْزُقْهُ أَجْمَلَ العُطُوْرِ والأَصْبَاغ، وامْلأْ كُلَّ أَوْقَاتِهِ بِالفَرَاغ، ولا تَقْصِفْ يَا رَبِّ ظُفْرَه، ولا تُرِهِ في المَنَامِ فَأْرَة، وعَلِّمْهُ الرَّقْصَ والسَّخَافَة، وزِدْ خَصْرَهُ نَحَافَة.

وكَانَ الأَخُ وَاقِفاً في ذُهُوْل، ولا يَدْرِي مَاذا يَقُوْل، ومُذْ أَتَمَّ السَّخِيْفُ دُعَاءهُ السَّالِف، هَمَّ بِاحْتِضَانِ صَاحِبِنا الوَاقِف، فأَبْعَدَهُ عَنْهُ

ودَفَعَه، ورَكَلَهُ حَتَّى أَوْقَعَه، وقَالَ: تَـبّاً لَكَ مِنْ نَاقِص، وخُنْفُسٍ مُقَـزِّزٍ رَاقِص، ولَوْلا المَلامَـةُ والتَّعْنِيْـف، لأَدْخَلْـتُ رَأْسَـكَ في الكَنِيْـف، أَلاَ سُحْقاً لِـجِنْسِكَ المَمْسُوْخ، ولِصَدْرِكَ النَّـاتِئِ المَنْفُـوْخ، ثُـمَّ جَذَبَـهُ مِـنْ سَلْسَالِه، وتَلَّهُ مِنْ حِزَامِ بِنْطَالِـه، وقَذَفَـهُ خَـارِجَ المَكَـان، وتَبِعَتْـهُ مِنْـهُ بَصْقَـتَان، وصَاحَ: العُنُوْسَةُ والبَوَار، ولا الاصْطِلاءُ بِالعَار.

وحِيْنَمَـا اشْرَأَبَّتْ نَفْسُهُ الـجَائِشَة، أَقْسَمَ أَنْ يُؤَدِّبَ أُخْتَهُ الطَّائِـشَة، وأَخَذَتْهُ نَشْوَةُ المَرَاجِل، فزَوَّجَها (كُوْمَارَ) النَّـادِل، وقـالَ لَـها: رَجُـلٌ مُكْتَمِلٌ وَضِيْع، ولا خُنْفُسٌ ذُو حَسَبٍ رَفِيْع، ويَوْمَ لامَهُ أَبُوْه، أَنْـشَدَ لا فُضَّ فُوْه:

فَـدَيْتُكَ لا تَعْجَـلْ بِلَـوْمِيَ يَـا أَبِي	وَلُمْ أُخْتِـيَ الرَّعْنَـاءَ إنْ كُنْـتَ لائـما
أَتَاهـا مِـنَ الــخُطَّابِ كُـلُّ مُبَجَّـلٍ	فَلَـمْ تَبْـغِ إلاّ أَمْلَـسَ الــخَدِّ نَـاعِما
يُغَنِّــي، وَإنْ غَنَّتْــهُ بَــادَرَ رَاقِــصاً	وَيَشْهَقُ رُعْبـاً لَـوْ رَأَى الفَـأْرَ قَادِمـا

وَيَلْـبَسُ بِنْطَـالاً وَيَمْـضَغُ عِلْكَـةً وَيَكْـسُو الـحُلَى أَقْدَامَـهَ وَالمَعَاصِـما

فَطُفْتُ مَقَاهِي الـحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُـهُ لِتِلْـكَ الـصِّفَاتِ الآنِفَـاتِ مُـوَائِما

وَأَمْعَنْتُ فِيْهِ الطَّـرْفَ أَسْبُـرُ نَوْعَـهُ أَأُنْثَى أَرَى؟ لا، رُبَّمَـا كُنْـتُ وَاهِمـا!

وَرَاقَبْتُـهُ كَـي أَسْـتَبِيْنَ فِعَالَـهُ فَأَبْصَرْتُ مِنْهُ الفَاجِعَـاتِ القَوَاصِـما

تَـسَلَّـلَ صُرْصَـارٌ إِلَيْـهِ فَرَاعَـهُ وَأَجْرَى مِنَ البِنْطَالِ وَالعَـيْنِ سَـاجِما

فَلَمْ أَتْرُكِ الصُّرْصَارَ حَتَّى سَحَقْتُهُ فَـأَغْنَمَنِي بِاسْـمِ الـدُّعَاءِ المَغَارِمـا

يَقُوْلُ: إِلَـهِي هَبْـهُ عِطْـراً وَصِـبْغَةً! وَلا تُـرِهِ فَـأْراً مَتَـى كَـانَ نَـائِما!

وَرَامَ احْتِـضَانِي وَيْلَـهُ مِـنْ مُـشَوَّهٍ فَقُمْـتُ إِلَيْـهِ ضَـارِباً فِيْـهِ شَاتِـما

وَأَقْسَمْتُ أَنْ أَقْتَادَ أُخْتِـي لِـمَا أَرَى فَزَوَّجْتُهـا وَافِـي الرُّجُوْلَـةِ حَازِمـا

وَوَاللهِ لا أَرْضَى لَـهَا المِـسْخَ سَـيِّداً وَأَرْضَى لَـهَا (كُوْمَارَ) لَوْ كَـانَ خَادِمـا

لَعَمْـرُكَ مَـا الأُنْثَـى تَـذُوْبُ مُيُوْعَـةً بِـأَغْنَجَ مِـنْ مِـسْخٍ يُـهِيْنُ المَكَارِمـا

١٣ – «أَفْرَغُ مِنْ ذَاتِ عَمُوْد»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ فَتَكَ بِهِ الفَرَاغ، وضَاعَ عن هَدَفِهِ وزَاغ، والعَمُوْدُ زَاوِيَةٌ في جَرِيْدَة، يَحْتَوِي تَافِهَ الرَّأْيِ ومُفِيْدَه، وقَدْ تَكَالَبَتْ عَلَيْهِ النِّسَاء، الحَصِيْفَةُ مِنْهُنَّ والبَلْهَاء.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً قَضَى عَلَيْهِ التَّخَصُّص، بأَنْ يُدِيْمَ عَلَى كِتَابَاتِهِنَّ التَّلَصُّص، فأَشَارَ عليهِ مَنْ إشَارَتُهُ سَخِيْفَة، بأَنْ يَشْتَرِكَ في أَكْثَرَ مِنْ صَحِيْفَة، فَاضْطُرَّ إلى تَحْلِيْلِ ثَمَنِ الاشْتِرَاك، بَعْدَ أنْ وَقَعَ في الأَشْرَاك، فرَاحَ يَقْرأُ كُلَّ عَمُوْد، ويُصْغِي لِكُلِّ نَغْمَةِ عُوْد.

وبَيْنَمَا هُوَ يُقَلِّبُ الصَّفَحَات، ويُرَجِّعُ الآهَاتِ والزَّفَرَات، صَادَفَ أَكْثَرَ مِنْ زَاوِيَة، ونَخْلَةٍ جَرْدَاءَ ذَاوِيَة، ولَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ زَائغَة، يَقْرَأُ لِكُلِّ فَارِغَة، فلَمْ يَظْفَرْ بِسَمِيْن، ولا عِقْدٍ ثَمِيْن، ولَمْ يَجِدْ إلاّ الضَّجِيْج، وشِبْهَ فَوْضَى الحَجِيْج، هَذِهِ تُطَالِبُ بِالمُسَاوَاةِ المُطْلَقَة،

وتَـمْضِي في لَـجَاجِهَا مُنْطَلِقَة، وتِلْكَ تَـهْذِي بِشِعْرٍ مَكْسُور، وتَفْتَـرِي عَلَى ابْنِ مَنْظُور، وأُخْرَى تَكْتُبُ خَاطِرَةً بَارِدَة، وتَـرَى أَنَّـها في القِـصَّةِ رَائدَة، ورَابِعَةٌ تُـبَاهِي بِالـحِكَمِ الـوَرَى، وبِجَانِبِهـا تَقْـوِيْمُ أُمِّ القُـرَى، وخَامِسَةٌ تَـتَّهِمُ الرِّجَال، بِأَنَّـهُمْ سَبَبُ الوَبَـال، وسَادِسَـةٌ تَـزْعُمُ أَنَّـها تَـمْتَلِكُ طَاقَةً نَوَوِيَّـة، وتُطَالِـبُ بِـها هَيْئَـةُ الطَّاقَـةِ الدَّوْلِيَّـة، وسَـابِعَةٌ تَـجْرِي مُـخْتَالَةً مَعَ المَوْضَة، وتُعْلِنُ انْضِمَامَ ابْنِها إلى الرَّوْضَـة، وثَامِنَـةٌ تَسْتَعْرِضُ بِأَسْفَارِها، وتَرْوِي سَخِيْفَ أَخْبَارِها، وتَاسِعَةٌ تُـخْبِرُ أَنَّـها رُوْمَنْسِيَّة، ومَفْتُوْنَةٌ في الْمُوْسِيْقا الإيْطَالِيَّة، وعَـاشِرَةٌ تَـشْكُو الْمُـضَايَقَةَ في السُّوْق، وعَارِفُهَا يُفَضِّلُ عَلَيْها النُّوْق، وثَمَّـةَ مَـنْ تَـصِفُ عَـشَاءَها في بَرْشَلُوْنَة، وهيَ قَابِعَةٌ في البَيْتِ تَأْكُـلُ تُوْنَـة، وهَكَـذا دَوَالَيْـكَ تَفَاهَـة، وهَلُمَّ سُخْفاً وفَهَاهَة.

فَاسْتَرْجَعَ الرَّجُلُ وَحَوْقَل، وبَكَى عَلَيْهِنَّ وَأَعْـوَل، ثُـمَّ أَغْلَـقَ مـا بَيْنَ يَدَيْه، وَأَنْشَدَ والدَّمْعُ مِلْءُ عَيْنَيْه:

إلَهِيَ أَلْقَانِي التَّخَصُّصُ في الضَّنى وَأَرْهَقَني حِرْصِي وَطُوْلُ صُمُوْدي

وَغَيْرِي قَرِيْرٌ نَائمٌ في فِرَاشِهِ ويَحْظَى بِمَا يَرْجُوهُ دُوْنَ جُهُوْدِ

يَظَلُّ معَ الآمَالِ أَكْثَرَ رَاحَةً وأَفْرَغَ من حَمْقَاءَ ذَاتِ عَمُوْدِ

أُتِيْحَ لَهَا مَا لَمْ يُتَحْ لِمُحَنَّكٍ فَقَاءَتْ سَخَافَاتٍ بِكُلِّ بُرُوْدِ

وَشَجَّعَهَا مَنْ لَيْسَ يَفْقَهُ هَذْرَهَا فَكَمْ مِنْ ذِئابٍ صَفَّقَتْ وَقُرُوْدِ

فَلَوْ أَنَّنِي أُنْثَى لَهَانَتْ مَتَاعِبِي وَطَبَّلَ لي طَبْلٌ وضارِبُ عُوْدِ

وَلَكنَّني —وَا طُوْلَ خَيْبَتِيَ— امْرُؤٌ لَهُ شَارِبٌ كَثٌّ، وَشَعْرُ خُدُوْدِ

١٤ – «أَفْقَرُ مِنْ أَدِيْب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَرْبَى بِهِ الفَقْرُ عَنْ حَدِّه، فبَاعَ بالبَخْسِ ثَوْبَ أَبِيْهِ وجَدِّه، والأَدِيْبُ رَجُلٌ مُنْشَغِلٌ بِما يَنْفَعُ النَّاس، ولا يَحْظَى بِغَيْرِ الهَوَانِ والإفْلاس.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً انْصَرَفَ إلى الأَدَب، وجَدَّ في تَحْصِيْلِ فُنُوْنِهِ وطَلَب، فلَمَّا فَاقَ وبَرَع، وابْتَكَرَ واخْتَرَع، رَأَى أَقْرَانَهُ يَتَبَوَّؤُوْنَ المَنَاصِب، وهوَ وَحْدَهُ في الهَمِّ نَاصِب، هُوَ يَجْمَعُ النُّخَب، وهُمْ يَجْمَعُوْنَ الذَّهَب، ويَنْظِمُ القَصَائد، ويُنَظِّمُوْنَ المَوَائد، ويُبْدِعُ الرِّوَايات، ويَبْتَدِعُوْنَ الهِوَايات، ويَنْقُدُ الأَعْمَال، ويَنْتَقِدُوْنَ المَال.

فلَمَّا رَأَى ضَيْعَةَ حَالِه، وفَقْرَه وسُوْءَ مَآلِه، مَزَّقَ كُتُبَهُ وأَوْرَاقَه، وأَقْسَمَ أنْ يُوَدِّعَ الفَاقَة، فاقْتَرَضَ مِنْ ذَوِيْهِ دُرَيْهِمَات، ووَضَعَها في

المُسَاهَمَات، فمَا إنْ فَـتَحَ طَرْفَهُ وأَغْمَض، إلاّ وقَدْ أُكِلَ كالثَّوْرِ الأَبْـيَض، وما كَرَّ عَلَيْهِ يَوْمَان، إلاّ وهوَ أَفْقَرُ مِـمَّا كَـان، فـأَدْرَكَ أنَّـهُ مَنْحُـوْس، لا تَنْفَعُهُ الدُّرُوْس، فعَادَ إلى حِرْفَتِه، وأَنْشَدَ مِنْ حُرْقَتِه:

لَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا العَـيْشَ دَهْـراً	فَلَـمْ أَرَ قَـطُّ أَفْقَـرَ مِـنْ أَدِيْـبِ
نَشَأْتُ عَلَى التَّأَدُّبِ مِـنْ قَـدِيْمٍ	وَهَـا قَـدْ لاحَ لِلرَّائـي مَـشِيْبي
سِنُوْنَ مَضَتْ أَصُوْغُ بِـهَا الـلآلِي	وَأَنْثُـرُ مِـنْ فُنُـوْنِي كُـلَّ طِيْـبِ
أُسَامِرُ لَيْلَتِي بِـصَدَى القَـوَافِي	وأَصْـحُو مِثْـلَ مُبْتَـئسٍ كَئِيْـبِ
أَجُوْعُ فَـآكُلُ النُّخَبَ السَّوامِي	وإنْ أَظْمَـأْ فَمِحْبَـرَتِي قَلِيْبِـي
وَيَبْلَى الثَّوْبُ ذُو التِّسْعِيْنَ فَتْقـاً	فَيَـبْدُو مِـنْ نَوَافِـذِه مَعِيْبِـي
وَلِي كُـوْخٌ تَفِـرُّ الـجِنُّ مِنْـهُ	وَلا يَـدْنُو إلَيْـهِ أَيُّ ذِيْـبِ
وَغَيْرِي هَانِئٌ في خَفْضِ عَيْشٍ	يُطِـلُّ عَـلَيَّ مِـنْ قَـصْرٍ مَهِيْـبِ

وَيَرْمُقُنِـــي بِنَظْرَتِــهِ احْتِقَــاراً وَإِنْ سَلَّمْتُ لَـــمْ أَرَهُ مُـــجِيْبِي

وَمَـــا فِي رَأْسِــــهِ إِلا هَبَـــاءٌ وَلَكِنْ لا اعْتِرَاضَ عَلَى النَّـصِيْبِ

فَيَــا دُنْيَــا رَجَوْتُــكِ عَــذِّبِيْنِي وَيَــا آلامُ وَيْـــحَكِ لا تَغِيْبِــي

١٥ – «إنَّ الغِنَى في الكُرَة»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَضْنَاهُ الكَدّ، وبَذَلَ في نَيْلِ العُلُوْمِ وجَدّ، حَتَّى إذا اسْتَوَى عُوْدُه، ذَوَى مِنَ الخَيْبَةِ عُوْدُه، وكَانَ حَظَّه الإفْلاسُ والتَّحْطِيْم، وفَازَ مَنْ دُوْنَهُ بِالثَّرَاءِ والتَّقْدِيْم، والكُرَةُ لُعْبَةٌ يَحْتَرِفُها الصِّغَار، ومَنْ ذَهَبَ مِنْ عَقْلِهِ الوَقَار، وطَالَمَا تَابَعَها حَبِيْسُ الفَرَاغ، ورُبَّمَا دَعَمَها خَاوِي الدِّمَاغ، وهيَ في الأَصْلِ نَشَاطٌ مَقْبُوْل، إلاّ إذا زَادَتْ عَنِ المَعْقُوْل، وقَدْ بَالَغَتْ في رِعَايَتِها جِهَات، وأُضِيْعَتْ فِيْها الأَمْوَالُ والأَوْقَات، واخْتَصَمَ بِسَبَبِها الجَاهِلُ والغَافِل، وغَيْرُهُما يَصْنَعُ الصَّوَارِيْخَ والقَنَابِل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ عُضْوَ هَيْئَةِ تَدْرِيْس، نَالَ شَهَادَةَ الدُّكْتُوْرَاهِ مِنْ بَارِيْس، وكَانَ قَدْ تَخَصَّصَ في عِلْمِ الذَّرَّة، بَعْدَ أَنْ أَفْنَى في الاغْتِرَابِ عُمْرَه، فعَادَ إلى وَطَنِهِ مَنْشُوْرَ الجَنَاح، وظَنَّ أَنْ قَدْ آنَ لَهُ أَنْ يَرْتَاح،

ويُكْفَى مَرَارَةَ الأَيَّـامِ الــخَالِيَة، بِـما يَلِيْـقُ بِـشَهَادَتِهِ العَالِيَـة، فارْتَقَـبَ التَّكْرِيْمَ أَيَّ ارْتِقَاب، وتَـحَفَّزَ لِـمَلْءِ يَدَيْهِ والـجِرَاب، وحَلُمَ بِمَنْــزِلٍ يُلائمُ مَنْـزِلَــتَه، ورَاتِـبٍ جَـزْلٍ يُبَــرِّدُ غُلَّتَـه، فلَــمَّا أَلْقَـى في جَامِعَتِـهِ بِرِحَالِه، جَرَى لَهُ مَا لَـمْ يَـجْرِ في بَالِه، إذْ لَـمْ يُبَارِكْ لَهُ رَفِيْعُـو المَكَانَـة، ولَـمْ يَسْتَقْبِلْهُ سِوَى عَامِلِ الصِّيَانَة، وظَلَّ شُهُوْراً يُرَاجِعُ عِمَادَتَه، إلى أَنِ اعْتَمَدُوا شَهَادَتَه، وأُجْرِيَ لَهُ رَاتِبٌ يَغْبِنُ القَنُوْع، لا يُـسْمِنُ ولا يُغْنِـي مِنْ جُوْع، يُـجْرَى مِثْلُـهُ عَـلَى الفَـرَّاشِ الــجَاهِل، ولا يَــخْتَلِفُ عَـنْ رَاتِبِ المُرَاسِل، وحِيْنَ أَبَانَ عَنِ الغَبْنِ وَجَلاَ، قِيْلَ لَهُ: البَابُ يَسَعُ جَمَلا، فأَغْمَضَ عَلَى غَبْنِهِ عُيُوْنَه، وظَلَّ يُسَدِّدُ لِلْغُرَمَاءِ دُيُوْنَه، واسْتَأْجَرَ مَنْـزِلاً مِنَ الفَـرَّاش، وقَـسَّطَ مَرْكَبَـةً كَثِـيْرَةَ الارْتِعَـاش، ومَـضَى يُــخْلِصُ في التَّدْرِيْس، ويُوْلِي بُحُوْثَهُ الـجُهْدَ النَّفِيْس.

وحَدَثَ في يَـوْمٍ كَثِـيْرِ العَمَـل، أَنْ أَصَـابَ المَغْبُـوْنَ بَعْـضُ المَلَـل، فتَوَقَّفَ عَنْ مُوَاصَـلِةِ إنْجَـازِه، واسْـتَرْخَى في مُـشَاهَدَةِ تِلْفَـازِه، فتَـابَعَ

حَفْلاً مُـحْتَشِدَ الأُمَم، لِفَرِيْقٍ فَازَ فِي كُرَةِ القَدَم، وشَاهَدَ جُمْلَةَ الوُجَهَـاءِ والمَسْؤُوْلِيْن، وهُمْ يَتَنَافَسُوْنَ فِي احْتِضَانِ اللاّعِبِيْن، ورَآهُمْ يُقَلِّدُوْنَـهُمُ الأَوْسِمَة، ويُكَافِئوْنَـهُمْ بِالـهِبَاتِ الْمُتْخِمَة، ثُمَّ بَـادَرَ ذَوُو الاسْـتِعْرَاضِ والثَّرَوَات، ومَنَحُوْهُمْ أَفْخَمَ القُصُوْرِ والمَرْكَبَات، ثُمَّ وَثَبَ مِنَ الْمُقَدِّمَـةِ وَاثِب، وعَـرَضَ المَلايِـيْنَ فِي شِرَاءِ لاعِب، فزَادَ عَـلَى سَـوْمِهِ ذُو عَبَـاءَةٍ سَمِيْن، وقَدَ ضَاعَفَ لَـهُمْ عَدَدَ المَلايِـيْن.

وأَثْنَاءَ مَا كَانَ الـحَفْلُ عَلَى أَشُدِّه، فَقَدَ صَاحِبُنا المَغْبُوْنُ كُلَّ رُشْـدِه، وهَشَّمَ تِلْفَازَهُ بِمِحْبَـرَةٍ أَمَامَه، وقَامَ يَـجْرِي طَيْشاً كَالنَّعَامَة، ولَـمْ يَعُـدْ يُسَيْطِرُ عَلَى ذَاتِه، وبَلَّ فِي المَاءِ شَـهَادَاتِه، ثُـمَّ ارْتَـدَى مَلابِـسَ رِيَاضَـة، وأَكْمَلَ فِي الشَّارِعِ تَرْكَاضَه، وكَانَ وهوَ يَـجْرِي يَصِيْح، ويُنْشِدُ بِصَوْتٍ فَصِيْح:

يَا مُنْكِراً رَكْضِيَ وَيْكَ الْتَمِسْ عُـذْراً، فَعَقْلـي فَاقِـدٌ رُشْـدَهْ

أَمَـا تَـرَانِي لابِـساً بِـزَّةً لابِسُهَا يَـبْـنِي بِـهَا مَـجْدَهْ؟

وَيَـجْتَنِي التَّكْرِيْمَ مِـنْ سَـادَةٍ يُنِـيْلُهُ كُلُّهُـمُ رِفْـدَه

وَلَوْ رَأَوا مِثْلِـي امْـرَأً عَالِـماً يَـرُوْمُ وَصْـلاً صَـفَعُوا خَـدَّهْ

أَرْهَقَنِـي دَيْنِـي وَطُلاّبُـهُ وَرَاتِبِـي لا يَمْـلأُ المِعْـدَةْ

وَمَنْـزِلِي البَـائِسُ مُـسْتَأْجَرٌ مِنْ جَاهِـلٍ كَـمْ أَتَّقِـي طَـرْدَهْ

يَعْمَلُ عِنْدِي فِي الضُّحَى خَادِماً ثُمَّـتَ أُمْـسِي خَادِمـاً عِنْـدَهْ

وَأَمْتَطِـي مَرْكَبَـةً عَـاصَرَتْ نُوْحـاً، وَحَـتْماً أَدْرَكَـتْ جَـدَّهْ

طَحَالِـبُ الطُّوْفَـانِ فِي مَتْنِهـا عَالِقَـةٌ لَـمْ تَـمْحُهَا المُـدَّةْ

وَإِنْ أَتَى الصَّيْفُ تَدَيَّنْتُ مِـنْ أَقَـارِبِي وَاصْـطَفْتُ فِي جُـدَّةْ

وَهِمْـتُ فِي البِيْـدِ بِرَعَّاشَـةٍ كَـأَنَّهَا تَـشْكُو مِـنَ الرِّعْـدَةْ

وَانْظُرْ بِعَيْنَيْـكَ فَكَـمْ لاعِـبٍ لا يَعْـرِفُ الـضَّمَّةَ وَالـشَّدَّةْ

تُبْــــصِرُهُ يَرْفُـــلُ في نِعْمَــــةٍ وَيَأْكُــلُ اللَّحْمَــةَ وَالزُّبْــدَةْ

وَيَمْلِكُ الـدُّوْرَ، ولا يَمْتَطِـي إلاّ جَدِيْــداً بَــالِغَ الـــجِدَّةْ

يَـا بُعْـدَ أَنْ يَـصْطَافَ إلاّ إذَا خَــصُّوْا لَــهُ طَـائِرَةً وَحْــدَهْ

فَـــتَارَةً يَــصْطَافُ في لَنْــدَنٍ وَتَـــارَةً يَقْـــصِدُ أُوْغَنْـــدَةْ

فَارْكُـلْ شَـهَادَاتِكَ إنَّ الغِنَــى في الكُــرَةِ المَرْكُوْلَــةِ الــجِلْدَةْ

وَالْعَــبْ كَمَعْتُــوْهٍ بِــهِ جِنَّــةٌ وَقَلِّـــدِ الــــهِرَّةَ وَالقِـــرْدَةْ

وَوَدِّعِ الـحِـشْمَةَ تَــبّاً لَـــهَا وَلامْـــرِئٍ يَأْخُـــذُهَا عُـــدَّةْ

فَحِيْنَـــهَا تُــصْبِحُ ذَا ثَــرْوَةٍ وَيَصْطَفِيْكَ الـشَّيْخُ وَالعُمْـدَةْ



١٦ – «بَوَارٌ ولا بَوَارُ الفَصِيْح»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ قَعَدَ بِهِ حَظُّه، وارْتَدَّ عَلَيْهِ في الضِّيَاءِ لَحْظُه، وكَانَ ذَا حَسَبٍ واقْتِدَار، ورَايَةٍ لا يُشَقُّ لَها غُبَار، والفَصِيْحُ نَعْتٌ لِمُضْمَرٍ ضَامِر، تَقْدِيْرُهُ: الشِّعْرُ أَوِ الشَّاعِر.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً فَتَحَ اللهُ عَلَيْه، وجَعَلَ الشِّعْرَ طَوْعَ لِسَانِهِ ويَدَيْه، وكَانَ في زَمَنٍ كَثُرَ فيهِ اللُّكَنَاء، وغَلَبَ أَمْرُهُمْ عَلَى الفُصَحَاء، فكَانَ كُلَّمَا أَنْشَدَ شَيْئاً مِنْ شِعْره، أُلْقِمَ حَجَراً في ثَغْرِه، وكُلَّمَا بَعَثَ قَصِيْدَةً إلى المَجَلات، وضَعُوْها في سَلَّةِ المُهْمَلات، وكُلَّمَا غَنَّى بِشِعْرِه عِلْيَةَ القَوْم، أَسْلَمُوا عُيُوْنَهُمْ لِلنَّوْم، وَسِوَاهُ يَحْظَى بِأَثْمَنِ الجَوَائز، حِيْنَ يَرْطُنُ رَطَانَةَ العَجَائز، ويُقَدَّمُ في كُلِّ المُنَاسَبَات، وهوَ يُرْمَى عَلَى العَتَبَات.

وقدْ ضَاعَفَ مِنْ هَمِّه، وزادَ في ضُمُوْرِهِ وسُقْمِه، أنَّ لهُ ابْنَـةً اسْـمُها دَلال، وكانَتْ آيةً في الـجَمَـال، وتَـتَنَاقَلُ صِفَاتِـها الأَلْسِنَة، بَيْـدَ أنَّــها بَلَغَتْ ثَلاثِـيْنَ سَـنَة، ولَــمْ يَطْـرُقْ بَابَــها خَاطِـب، ولا اقْتَــرَبَ مِـنْ شَجَرَتِـها حَاطِب، وكانَتْ لَـها جَارةٌ قَبِيْحَةُ الـشَّكْل، عُرِفَـتْ بِــبَذَاءةِ القَوْلِ والفِعْل، وصِيْتُها سَـيِّءٌ خَامِل، وفي وَجْهِهـا ثَـآلِيْلُ ودَمَامِـل، وليسَ لَـها عَنِ النَّاسِ حِجَاب، وخُطّابُـها حَوْلَـها مِنْ كُلِّ بَاب، فَمُـذْ رَأَى الشاعرُ فَلْذَةَ كَبِـدِه، تَبْكِـي لِكَمَـدِها وكَمَـدِه، رَبَـتَ عَـلَى كَتِفِهـا وذَهَب، وأَحْضَرَ الدَّوَاةَ وكَتَب:

اسْفَحِي يـا دَلالُ دَمْعَـكِ وابْكِـي ... وتَــشَكَّي جَــوْرَ الزَّمَــانِ القَبِــيْحِ

خَفِّفِــي بِالبُكَــاءِ حُزْنَــكِ هَــذا ... وَأَرِيْـحِيْنِي مِنْ ضَنىً وَاسْتَـرِيْـحي

بَــادِلِيْنِي الــشَّجَا أُبَادِلْـكِ ضِـعْفاً ... لَيْسَ يَـجْرِي السَّفِيْنُ مِنْ غَيْــرِ رِيْـحِ

وَهَلُمِّـي إِلَـيَّ نَـشْكُ انْتِكَاسـاً وَجُـمُوْداً مِـنَ النَّـصِيْبِ الـشَّحِيْحِ

فَكِلانَـا لَـهُ مُـصَابٌ، وَيُـخْفِي فِي حَـشَاهُ أَنِـيْنَ قَلْـبٍ جَـرِيْحِ

يَقْعُدُ الـحَظُّ بِالـجَدِيْرِ! ويَـسْعَى بِالأَمَانِي الـحِسَانِ نَحْـوَ الكَسِيْحِ!

رَدِّدِي مِـثْلِي: إِنَّنَـا فِي زَمَـانٍ ذَائِـدٍ عَـنْ نَطِيْحَـةٍ وَنَطِـيْحِ

يَـا كَـسَاداً وَلا كَـسَادَ دَلالٍ! وَبَـوَاراً وَلا بَـوَارَ الفَـصِيْحِ!



١٧ – «تَأَنَّثْ أَنْتَ في زَمَنِ الإنَاث»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ جارَ عَلَيْهِ زَمَانُه، وهَوَى بِهِ مِنْ عَلْيَائهِ مَكَانُـه، واسْتَلَبَ مَنْ دُوْنَهُ سَيْفَهُ وغِمْدَه، وصَارَ فَضْلَةً وقَدْ كَانَ عُمْدَة، وزَمَـنُ الإنَاثِ عَصْرٌ وَاهي الـهَيْبَة، يُـجَرِّرُ رِجَالُهُ أَذْيَالَ الـخَيْبَة، فِيْـهِ النِّـسَاءُ مُسَيْطِرَة، وتَلْبَسُ جِلْدَ القَسْوَرَة.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ حَكِيْماً في زَمَنٍ غَابِر، كَـبَا بِهِ في الـهَوَانِ حَظٌّ عَـاثِر، فعَاشَ في عَصْرٍ رَدِيْءٍ رَثّ، الأَمْرُ والنَّهْيُ فيهِ للمُؤَنَّث، رِجَالُـهُ سُـلِبُوا سُلْطَةَ القِوَامَة، وأُلْقُوا عَلَى أَعْقَابِـهِمْ في القُمَامَة، وصَـارَتِ النِّـسَاءُ فيـهِ مُـسْتَـرْجِلات، وفي مَيَـادِيْنِ الوَقَاحَـةِ صَـائلات، يَلْهَجْـنَ بِالْمُـسَاوَاةِ والتَّحْرِيْر، وعُقُوْلُـهُنَّ أَرَقُّ مِنْ قِطْمِيْر، لَــهُنَّ أَلْـسِنَةٌ مِثْـلُ الأَسْـيَاف، وأَقْلامٌ تَنْفُثُ السُّمَّ الزُّعَـاف، نَـازَعْنَ الرِّجَـالَ في الــحُقُوْق، وأَبْـدَيْنَ لَـهُمْ أَعْظَمَ العُقُوْق، وَبطَشْنَ فِيْهِمْ بَطْشَ الـحَجَّاج، ونَادَيْنَ إلى تَعَـدُّدِ

الأَزْوَاج، وتَطَلَّعْنَ إلى المَنَاصِبِ الـحَسَّاسَة، ولَـمْ يَسْلَمْ مِنْهُنَّ كُرْسِـيُّ الرِّئاسَة، وأَوْكَلْنَ بُيُوْتَـهُنَّ إلى الـخَادِمَات، وهِـمْنَ عَـلَى وُجُـوْهِهِنَّ مُطَالِبَات، تَدْفَعُهُنَّ الغَيْرَةُ والمُشَاكَسَة، وما ثَـمَّ وُجُـوْهٌ لِلْمُنَافَسَة، وفي التَّظَلُّمَاتِ يَـرْدَحْنَ بِـالرَّقْص، يَـحْمِلُهُنَّ إلَيْهـا الإحْـسَاسُ بِـالنَّقْص، تَـتْرُكُ إحْدَاهُنَّ المَطْبَخَ والتَّـنُّوْر، ثُـمَّ في حَلْقَـةِ الفَـرَاغِ تَـدُوْر، وحِـيْنَ تَلْسَعُها الزَّنَابِيْر، تَقُوْلُ: رِفْقاً بِالقَوَارِيْر.

ومِـمَّا زَادَ مِـنْ هَمِّـهِ وأَشْـجَاه، أنَّ رِجَـالَ عَـصْرِهِ أَشْـبَاه، فكَـانُوا يُسَايِرُوْنَـهُنَّ ويُـجَارُوْن، ويُمْـسِكُوْنَ لَـهُنَّ المَـاعُوْن، وهُـنَّ يَقْـذِفْنَ عَلَيْهِمْ بِالقَلِيْل، ويُـهَدِّدْنَـهُمْ بِالصُّرَاخِ والعَوِيْـل، فـنِلْنَ بِـذَلِكَ أَرْقَـى الوَظَائف، واجْتَنَيْنَ أَحْلَى ما يَـجْتَـنِيْهِ قَاطِف، وإذا رَضِـيْنَ عَـلَى رَجُـلٍ رَفَعْنَه، وإنْ سَخِطْنَ عَلَى آخَرَ وَضَعْنَه، ولَـمْ يَنَلِ الرِّجَالُ عَالِيَ الرُّتَـب، إلاّ إذا رَبَطَهُمْ بِالكَرِيْمَاتِ نَسَب، وأَصْـبَحَ لِلـضَّمِيْرِ المُؤَنَّـثِ المُـسْتَـتِر، أَشَدُّ مِنْ تَأْثِيْـرِ الـسَّاحِرِ الأَشِر، ولَـمْ يَعُـدْ لِلرَّجُـلِ قِيْمَـة، مِثْلُـهُ مِثْـلُ

البَهِيْمَة، فلَوْ تَأَخَّرَ عَنِ الاحْتِرَاث، لَطُلِّـقَ مِنْ فَوْرِهِ بِالثَّلاث، وحَـدَثَ أنْ ثَارَ ثُلَّةُ أَبْطَال، ونَادَوا بِـبَعْضِ حُقُوْقِ الرِّجَال، وطَمِعُوا بِـشَيْءٍ مِـنَ المُوَاسَـاة، ولَـمْ يَتَطَلَّعُـوا قَـطُّ إلى المُـسَاوَاة، فتَـرَبَّصَ بِـهِمْ بَنَـاتُ مَـخْضُوْب، وأَبَادَهُمْ بَيْنَ مَشْنُوْقٍ ومَصْلُوْب.

أمّـا الـحَكِيْمُ فهَجَـرَ عَـصْرَهُ ومـا فيـه، وانْـشَغَلَ عنـهُ بِتَـصَانِيْفِهِ وقَوَافِيْه، وكَانَ مِنْ ذائعِ مُؤَلَّفَاتِه، ونَافِعِ حِكَمِـهِ ولَفَـتَاتِه:، «مَا فَـاتَ الـجَمَـاعَة، مِـنْ عَلامَـاتِ الـسَّاعَة،» و«اسْتِـنْـسَارُ البُغَـاث، في دَوْلَـةِ الإنَاث،» و«بُلْغَةُ الغَرْثَى، فِيْمَنْ رَفَعَتْهُ أُنْثَى،» ولَهُ مِنَ القَوَافي الـسَّيَّارَة، نُخَبٌ وَافِرَةٌ مُـخْتَارَة، ومِنْ أَشْهَرِ مَا وَشَّاه، قَوْلُهُ رَحِمَهُ الله:

أَيَـا مُرْخِـي شَـوَارِبَهُ اخْتِيَـالاً ... تَأَنَّـثْ أَنْـتَ في زَمَـنِ الإنَـاثِ

أَتَـى زَمَـنٌ تُعَـدِّدُ فِيْـهِ أُنْثَـى ... وإنْ تَغْـضَبْ تُطَلِّـقْ بِـالثَّلاثِ!

زَمَانٌ مِثْلُ ذَا زَمَنٌ رَدِيْءٌ   يَطِيْبُ لِمَنْ يَعِيْشُ بِلاَ اكْتِرَاثِ

تُسَيِّرُنَا بِهِ مُسْتَرْجِلاتٌ   جَثَشْنَ شُمُوْخَنَا شَرَّ اجْتِثَاثِ

وَمِنْ عَجَبِي يُسَانِدُهُنَّ قَوْمٌ   يُسَارُ بِهِمْ كَثِيْرَانِ احْتِرَاثِ!

زَمَانِي شُهْتَ مِنْ زَمَنٍ قَبِيْحٍ   يَذِلُّ النِّسْرُ فِيْهِ لِلْبُغَاثِ

فَلَوْ عَصْرِي كَعَصْرِ أَبِي وَجَدِّي   لَمَا وَلْوَلْتُ فِي هَذِي المَرَاثِي

فَيَا لَلَّهِ مَا أَشْقَى زَمَانِي   وَأَكْثَرَ مَا أَحِنُّ إلى تُرَاثِي

١٨ – «جَنَى عَلَيْهِ الـجِوَار»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الأَذَى غَـيْرِ المُـتَوَقَّع، وفي الـضَّرَرِ مِمَّـنْ يَـخَالُهُ النَّاسُ يَنْفَع، والـجِوَارُ قُرْبُ الدَّارِ مِنَ الدَّار، وجَاوَرَ الرَّجُلُ قَوْماً فهـوَ جَار، ولِلْجِوَارِ آدَابٌ وسُنَن، يَقُوْمُ بِحَقِّها مَنْ فَطَـن، وثَمَّـةَ مَـنْ يُغْفِـلُ تِلْكَ الـحُقُوْق، ويُرِي جِيْرَانَهُ كُلَّ العُقُوْق، فيُطْلِقُ صِبْيَتَهُ كَالنِّعَـاج، أَوْ يُسْمِعُهُمْ مِنْهُ الإزْعَاج.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً نَـهَاهُ الثِّقَات، أَنْ يُـجَاوِرَ مَـنْ يُـخَالِفُوْنَهُ في العَادَات، ولَكِنَّهُ لِقِلَّةِ ما في جِرَابِه، أَعْرَضَ عَنْ نُـصْحِ أَحْبَابِـه، فـسَكَنَ حَيّاً غَيْرَ مُنَظَّم، يَـجْرِي في شَـوَارِعِهِ الـدَّم، فأَغْلَـقَ بَـابَ بَيْتِـهِ عَلَيْـه، وكَفَّ أَذَاهُ عَمَّنْ حَوَالَيْه، وبَيْنَمَـا هُوَ يَسْأَلُ اللهَ اللُّطْف، إذْ طُـرِقَ بَـابُ بَيْتِهِ بِعُنْف، فاسْتَطْلَعَ الأَمْرَ في حِيْنِـه، فـإذا صَـبِيٌّ يُـشِيْرُ بِـسِكِّيْنِه، وفي وَجْهِهِ جُرُوْحٌ وحُرُوْق، وثَوْبُهُ عَلَى المَتْنِ مَـشْقُوْق، ثُـمَّ أَمَـرَهُ مِـنْ غَـيْرِ

مَعْذِرَة، أَنْ يُـحْضِرَ مِنْ فِنَائِهِ الكُرَة، فلَمْ يَـجِدْ بُدّاً مِنْ إخْبَارِ أَبِيْـه، عَـمَّا رَآهُ مِنِ ابْنِـهِ الـسَّفِيْه، فرَمَقَـهُ الأَبُ وهـوَ جَـاحِظُ العُيُـوْن، وصَـاحَ في وَجْهِهِ: صِبْيَةٌ يَلْعَبُوْن، وفي اليَوْمِ الثَّاني خَـرَجَ الــجَار، فوَجَـدَ مَرْكَبَتَـهُ عَـلَى الأَحْجَـار، إطَارَاتُـــها الأَرْبَعَـةُ مَـسْلُوْبَة، وزُجَاجَتُهَـا الــخَلْفِيَّةُ مَثْقُوْبَة، وفي اليَوْمِ الثَّالِثِ أَقْبَلَ وَلَدُه، والدِّمَاءُ يَسِيْلُ بِـها جَسَدُه، وذَكَرَ أَنَّهُ تَعَرَّضَ لاعْتِدَاء، مِنْ ثَلاثَةِ صِبْيَةٍ أَشْقِيَاء، ومَرَّتِ الأَيَّامُ تِلْوَ الأَيَّـام، والـجَارُ يُعَانِي أَذَى اللِّئام، والآبَاءُ يُرَدِّدُوْن:، صِبْيَةٌ يَلْعَبُوْن.

وحِيْنَئِذٍ قَرَّرَ الـجَارُ أَنْ يُنَازِل، ويَـضَعَ حَـدّاً لِــهَذِهِ المَهَـازِل، فلَـمْ يُعَالِجِ الغَلْطَةَ بِغَلْطَة، وذَهَبَ شَاكِياً إلى الشُّرْطَة، فبَـاحَ لَــهُمْ بِــمَا أَرَّقَ بَالَه، وأَخْبَـرَ بِكُلِّ مَا جَرَى لَـه، فلَـمْ يَزِيْـدُوا أَنْ نَظَـرُوا إلَيْـه، وقَـالُوا والدَّمْعُ مِلْءُ عَيْنَيْه:

احْـمَدِ اللهَ عَلَى النَّجَاة، فغَيْرُكَ عَانَى أَشَدَّ المُعَانَاة، ولَيْسَ في وُسْـعِنَا يَا مَغْبُوْن، أَنْ نَرْدَعَ صِبْيَةً يَلْعَبُوْن، فإنْ شِئْتَ أَلاّ تَقُوْلَ: (لَيْت)، فَـاغْنَمِ السَّلامَةَ وبِـعِ البَيْت.

فعَلِمَ المَغْبُوْنُ أَنَّـها الغَنِيْمَة، وبَاعَ بَيْتَهُ بِرُبْعِ القِيْمَة، ثُمَّ حَمَلَ صِـغَارَهُ ومَتَاعَه، وأَنْشَدَ وهوَ يَصْلَى الْتِيَاعَه:

سَـكَنْتُ حَيّـاً رَخِيْـصاً ... لَـــمَّا تَغَـــالَى العَقَـــارُ

فَكَـــانَ أَسْـــوَأَ حَـــيٍّ ... سُـــكْنَاهُ بُـــؤْسٌ وعَـــارُ

لِـلَّـــهِ كَــمْ بِــتُّ فِيْــهِ ... وخَـــافِقِي مُـــسْتَطَارُ

جَــاوَرْتُ فِيْــهِ أُنَاســاً ... الــشَّرُّ فِــيْهِمُ فَخَـــارُ

صِبْيَانُـــهُمْ في النَّـوَاحِي ... مُفَلَّتُـــــــوْنَ نِثَـــــارُ

في وَجْــهِ كُـــلِّ صَـــبِيٍّ ... حَـــــدَائقٌ وَقِفَـــــارُ

وفي الـــجُيُوْبِ سِــلاحٌ ومُدْيَـــــةٌ وَعُقَـــــارُ

وَإنْ تُــــخَبِّرْ ذَوِيْــــهِمْ عَـــنْهُمْ يَنَلْـــكَ شَرَارُ

فَكَـــمْ أُعَـــانِي أَذَاهُـــمْ وَكَـــمْ يُعَـــانِي الــصِّغَارُ

وَنَـــالَ مَرْكَبَتِـــي مِـــنْ أَذَى الوُحُـوْشِ الـدَّمَارُ

فَلِلْوَقُـــوْدِ امْتِـــصَاصٌ وَلِلزُّجَـــاجِ انْكِـــسَارُ

وطَالَـــــمَا رَفَعُوْهَـــــا وَسُـــلَّ مِنْهَـــا إطَـــارُ

قِــدْماً نَــــهَانِي ثِقَــاتٌ فَكَـــانَ مِنِّـــي اغْـــتِرَارُ

وهَــا أَنَــا بِعْــتُ بَيْتِــي وصَارَ حَظِّـي الـخَسَارُ

فَــدُوْنَكَمْ مَــا دَهَــانِي وَلْيَبْــدُ مِــنْكُمْ حِــذَارُ

وَارْثُــوا لِــحَالَةِ جَــارٍ جَنَــى عَلَيْــهِ الــجِوَارُ

١٩ – «حِجَاجٌ وَلا حِجَاجُ بَخِيْل»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ يُغَالِطُ بِالـجَدَل، وأُوْتِـيَ بَـرَاعَةَ الـخَلْطِ والدَّجَل، فظَنَّ أَنَّ حُجَجَهُ مَسْقُوْفَةُ البُيُـوْت، وهـيَ أَوْهَـنُ مِـنْ بَيْـتِ العَنْكَبُوْت، والبَخِيْلُ مَـخْذُوْلٌ أُعْطِـيَ الفَـضْل، فبَخِـلَ وأَمَـرَ النَّـاسَ بِالبُخْل، حَرَمَهُ اللهُ مُتَعَ الـحَيَاة، ووَارِثُهُ يَتَمَنَّـى لَـهُ الوَفَـاة، يُـحِبُّ أَنْ يَكُوْنَ عَالَةً عَلَى غَيْرِه، ولا سَبِيْلَ إلى النَّيْلِ مِنْ خَيْرِه، وقَـدْ يَتَـمَادَى بِـهِ الـخِذْلان، فيَـرَى أَنَّهُ أَكْرَمُ إنْسَان، ولَهُ في التَّسْوِيْغِ والادِّعَـاء، حُجَـجٌ لَيْسَ لَـها انْتِهَاء.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً مَسْتُوْرَ الـحَال، ابْتُلِـيَ بِـصَاحِبٍ أَثْقَـلَ عَلَيْهِ أَيَّ إثْقَـال، وهـوَ مَـعَ إثْقَالِـهِ وإمْلالِـه، يَـدَّعِي القِلَّـةَ في مَالِـه، وصَاحِبُهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَذَّاب، وأَنَّ أَمْوَالَـهُ يَنُـوْءُ بِـها الـحِسَاب، ولَكِنَّـهُ رَاعَى مُوْجِبَاتِ الصَّدَاقَة، ورَأَى أَنْ يَكْفِيَهُ وَهْمَ الفَاقَة، ودَامَ مَعَـهُ عَـلَى

هذا الـحَالِ المَهِيْن، وشَاهَدَ مِنْهُ مَا يُـزْرِي ويَـشِيْن، فمَتَـى اصْـطَحَبَا في الأَسْفَار، كَفَاهُ الكُلْفَةَ غَيْرَ مُـخْتَار، وادَّعَى أَنَّ رَغْبَتَـهُ في الـسَّفَرِ قَلِيْلَـة، وأَنَّهُ لَـمْ يُسَافِرْ إلاّ لِيُجَامِلَ خَلِيْلَه، وإذا ذَهَبَا إلى مَطْعَـم، تَــحَمَّلَ عَنْـهُ المَغْرَم، ورُبَّمَـا أَخَذَتِ اللَّئِيْمَ نَشْوَةُ الكِرَام، فوَثَبَ عِنْـدَ الـحِسَابِ إلى الـحَمَّام، ثُمَّ أَقْبَلَ يَلُوْمُ صَاحِبَهُ عَلَى الاسْتِعْجَال، ويَقُوْلُ: لَـوْ تَــرَكْتَنِي أَدْفَعُ عَنْكَ المَال، ولَكِنْ في المَـرَّةِ القَادِمَةِ بِإِذْنِ مَوْلاي، لَنْ يَتَحَمَّلَ ثَمَـنَ الطَّعَامِ سِوَاي، وعِنْدَما يَــحِيْنُ اليَـوْمُ المَوْعُـوْد، يَـدَّعِي اللَّئِـيْمُ نِـسْيَانَ النُّقُوْد، وهَكَذا كَانَ في تَوَاكُلِهِ ومَعَـاذِيْرِه، وصَـاحِبُهُ يَكْـتُمُ عَنْـهُ لَظَـى سَعِيْرِه.

وحِيْنَ طَفَحَ بِصَاحِبِنا الكَيْل، وغَمَرَهُ مِنْ لُؤْمِ صَـاحِبِهِ سَـيْل، قَـرَّرَ أَنْ يُصَارِحَهُ بِعَيْبِـه، وبِعِلْمِـهِ عَـنِ المَخْبُـوْءِ في جَيْبِـه، وأَنْ يُبَــيِّنَ لَـهُ أَنَّ الصُّحْبَة، مُشَارَكَةٌ في اليُسْرِ والكُرْبَة، وأَنَّ التَّوَاكُـلَ مَـعَ الاقْتِـدَار، مِـنْ

شِيَمِ ذَوِي الصَّغَار، ولَـمَّا طَرَحَ عَلَيْهِ هَذِهِ المَآخِذ، انْتَفَشَ اللَّئِيْمُ انْتِفَاشَ القَنَافِذ، ثُمَّ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِ غُوْل، وانْثَـنَى فِي مَعْرِضِ الـجَدَلِ يَقُوْل:

وَيْـحَكَ كَأَنَّكَ تَرْمِيْنِي بِالبُخْل، وتَـجْحَدُ مِنِّي مَا لَقِيْتَهُ مِنْ بَـذْل!، أَتُنْكِرُ أَيُّـها اللَّئِيْمُ الـجَاحِد، أَنَّنِي كُنْتُ لَـكَ خَـيْرَ مُـسَاعِد؟!، أَنَـسِيْتَ يَوْمَ سُرِقَ جَوَّالُك، وسَاءتْ بِسَرِقَتِهِ أَحْوَالُك، أَنَّنِي أَتَـحْتُ لَكَ جَوَّالِي مَرَّتَيْن، فهَاتَفْتَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ دَقِيْقَـتَيْن؟!، أَمْ نَسِيْتَ يَـوْمَ شَرِبْنَـا الـشَّايَ قَبْلَ سَنَوَات، ولَـمْ تَعْمَلْ بِطَاقَةُ ائتِـمَانِكَ رَغْمَ المُحَاوَلات، فقُلْ لِي مَـنْ دَفَعَ الدِّرْهَمَيْن، يا صَاحِبَ الزَّيْفِ والمَيْن؟!، أَمْ نَسِيْتَ يَوْمَ كُنْتَ تَـمْشِي وَرَائي، فَقَطَعْتَ دُوْنَ أَنْ تَـدْرِيَ حِـذَائي، فاكْتَفَيْـتُ مِنْـكَ بِـالتَّعْوِيْضِ الزَّهِيْد، ولَـمْ أُطَالِبْكَ بِثَمَنِ حِـذَاءٍ جَدِيْـد؟!، أَظُنُّـكَ تَـذْكُرُ كُـلَّ هَـذا وأَكْثَـر، فلِـمَ تَرْمِيْنِـي بِـمَا فِيْـكَ مِـنْ مُنْكَـر؟!، وإنْ كُنْـتَ تَـنْقِمُ عَـلَيَّ الاقْتِصَاد، فقَدْ حَثَّ إِلَيْهِ خَيْرُ العِبَاد، ومَعَ ذَلِكَ فَإِنَّنِي أَخْشَى العِقَـاب، لِكَثْرَةِ تَبْذِيْرِي يَوْمَ الـحِسَاب، فأَنَا أُنْفِقُ إِنْفَاقَ مَـنْ لا يَـخْـشَى الفَقْـر،

وأُبَادِرُ إلى سَدَادِ فَوَاتِيْرِي كُلَّ شَـهْر، واسْـأَلْ عَـنْ جُـوْدِي البَعُـوْض، وكَيْفَ أَدَعُهُ في دَمِي يَـخُوْض، وإنِ اسْتَكْثَـرْتُ في المُبِيْـدِ الأَثْـمَان، فلأَنَّ عِلاجَ المُسْتَشْفَى بِالمَجَّان، وهَـلْ تَعْلَـمُ أَنَّنِـي إنْ فَاتَـتْنِي وَلِيْمَـة، بَذَلْتُ في شِرَاءِ الـخُبْزِ أَيَّةَ قِيْمَة؟!، وأَنَّنِي أُغَيِّـرُ ثَـوْبِي قَبْـلَ أَنْ يَتَمَـزَّق، ولا أَرْتُقُهُ وهوَ قَابِلٌ أَنْ يُرْتَق؟!، فقُلْ لِي وَيْـحَكَ أَيَّ بُخْـلٍ عَنَيْـت؟!، وأَيَّةَ فِرْيَةٍ عَلَيَّ قَدِ افْتَـرَيْت؟!، فـوَاللهِ إنِّي بَـدَأْتُ أُوْجِـسُ مِنْـكَ خِيْفَـة، لِـهَوْلِ مَا ادَّعَيْتَ في فِرْيَتِكَ السَّخِيْفَة، والأَرْجَحُ عِنْـدِي أَنَّـكَ طَـامِع، وتَرْجُو مِنْ مَالي المَـنَافِع، وتُرِيْـدُ أَنْ تَـسْتَغِلَّ كَرَمِـي، وتَــمْتَصَّ أَنْـتَ والبَعُوْضُ دَمِي، فاذْهَبْ هَذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِك، لا تَـرَكَ اللهُ سَـوَاداً في عَيْنِك، ولَنْ أُبِيْحَكَ مِنْ أُجْرَةِ هَذْرِكَ في جَوَّالي، ولا مِـنْ قِيْمَـةِ الـشَّايِ وحِذَائي البَالي، فإنْ كُنْتَ نَبِيْلاً وذا إبَاء، فرُدَّ عَلَيَّ أَثْـمَانَ هَـذِهِ الأَشْـيَاء، وإلاّ فأَسْـأَلُ اللهَ أَنْ يُـجَازِيَكَ عَـلَى اسْـتِغْلالِك، وأَنْ يُـرِيَكَ –كَـمَا عَقَقْتَنِي– عُقُوْقَ عِيَالِك.

وبَيْنَمَــا البَخِيْــلُ في لَــجَاجِهِ مُنْهَمِـك، إذِ انْتَابَـتْ صَـاحِبَنا نَوْبَـةُ ضَحِك، وأَدْرَكَ أَنَّ البُخْلَ ابْتِلاء، وأَنَّ أَهْلَهُ أَبْلَغُ البُلَغَـاء، حَـرَمَهُمُ اللهُ الـسَّمَاحَة، ووَهَـبَهُمْ بَلِيْـغَ الفَـصَاحَة، عَـلَى أَنَّ فَـصَاحَتَهُمْ لَــجَاج، وحِجَاجَهُمْ بَقْبَـقَةُ دَجَاج، فوَدَّعَهُ ولَـمْ يَنْوِ قَطِيْعَتَه، ثُمَّ رَفَـعَ بِالإنْـشَادِ عَقِيْرَتَه:

وَخَلِيْــــلٍ بُلِيْــــتُ مِنْــــهُ بِــــشُحٍّ ... وَاتِّكَـالٍ، فَيَـا لَبَلْـوَى الــخَلِيْلِ

يَدَّعِي الفَقْـرَ وَهْـوَ مُثْرٍ، وَيُلْقِـي ... فَوْقَ ظَهْرِي بِكُـلِّ حِـمْلٍ ثَقِيْـلِ

ذَاتَ يَوْمٍ لَـمَحْتُ كَـشْفَ حِسَابٍ ... بِاسْــمِهِ يَنْـــتَهِي بِـرَقْمٍ طَوِيْــلِ

فَــتَغَاضَيْتُ عَـنْ خَـسَاسَةِ خِـلِّي ... وَتَساخَيْتُ رَغْمَ دَخْلــي القَلِيْـلِ

كَــمْ لَيَــالٍ أَنْفَقْــتُ فِيْهــا عَلَيْــهِ ... وَصَنَعْتُ الـجَمِيْلَ تِلْوَ الــجَمِيْلِ

لَـوْ أَبُـوْهُ قَـارُوْنُ لَــمْ يَــحْتَمِلْهُ ... فَــلِيَ اللهُ مِـــنْ صَـــدِيْقٍ نَبِيْـــلِ

حِيْنَمَا لُـــمْتُهُ عَـلَى البُخْـلِ يَوْمـاً ثَارَ فِي وَجْهِي بِالــخَنَا وَالعَوِيْـلِ

وَمَـضَى يَـسْتَعِيْدُ مَـا نِلْـتُ مِنْـهُ مِــنْ نُفَاثَــاتِ جُــوْدِهِ وَالــضَّئِيْلِ

وَنَـــفَى كُـــلَّ بُخْلِـــهِ، وَرَمَـــانِي بِالذِي فِيْـهِ.. يَـا لَـهُ مِـنْ عَلِيْـلِ!

بَــارِعٌ فِي لَـــجَاجِهِ وَالــدَّعَاوَى مَــا لَــهُ فِي بِيَانِــهِ مِــنْ مَثِيْــلِ

أَيْنَ سَـحْبَانُ عِنْـدَهُ؟ أَيْـنَ قُـسٌّ؟ أَيْــنَ عَنْـهُ أَفْـذَاذُ ذَاكَ الرَّعِيْــلِ؟

لَـوْ رَأَوْا مِثْلَـهُ حِجَاجـاً لَقَـالُوا: يَـا حِجَاجـاً وَلا حِجَـاجَ بَخِيْـلِ

٢٠ – «دَعَاوَى صَحَفِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الإشَاعَات، والكَلامِ المَبْنِيِّ عَلَى المُبَالَغَات، والصَّحَفِيُّ عَامِلٌ في جَرِيْدَة، يَطْلُبُ مِنْهُ رُؤَسَاؤهُ جَدِيْدَه، وقَدْ تَضِيْقُ بِبَعْضِ الصَّحَفِيِّيْنَ الأَخْبَار، فيُضَخِّمُوْنَ النَّمْلَةَ ويُجِلُّوْنَ الحِمَار، وطَالَمَا عَبَثُوا بِالقَارِئِ المِسْكِيْن، وخَادَعُوْهُ بِمُفَرْقَعَاتِ العَنَاوِيْن، ورُبَّمَا حَمَلَتْهُمْ رَغْبَةُ المَطْعَم، إلى تَغْطِيَةِ عُرْسٍ ومَأْتَم، فالْتَقَطُوا صُوَراً لِلزَّوْجِ ولِلثَّاكِل، ثُمَّ الْتَهَمُوا ما طَابَ مِنْ مَآكِل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً وَافِرَ الحَصَافَة، جَاوَرَ أَحَدَ العَامِلِيْنَ في الصَّحَافَة، فكَانَا إذا اجْتَمَعَا في دَار، هَذَرَ الصَّحَفِيُّ عَلَى الجَار، وأَخَذَ يُسْمِعُهُ الفَضَائح، ويَنْتَقِدُ الغَادِيَ والرَّائح، ويُهَوِّلُ صَغِيْرَاتِ الأُمُوْر، ويَخْلِطُ اللُّبَابَ بِالقُشُوْر، وإذا خَرَجَتْ جَرِيْدَةُ الصَّبَاح، قَرَأَ لَهُ فِيْها العَوِيْلَ والصِّيَاح.

وكَانَ فِي حَيِّهِمَا بُسْتَان، حَافِلٌ بِكُلِّ مَا رَاقَ وزَان، يَقْصِدُهُ الأَطْفَالُ والنِّسَاء، ويَبْقَوْنَ فِيْهِ حَتَّى المَسَاء، وحَدَثَ أَنْ سَقَطَ صَبِيٌّ مِنَ الأُرْجُوْحَة، فنَزَفَ بَعْضُ الدَّمِ مِنْ يَدِهِ المَجْرُوْحَة، وما إنْ عَلِمَ الصَّحَفِيُّ بِالخَبَر، حَتَّى شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ وحَضَر، وصَوَّرَ الصَّبِيَّ مِئةَ صُوْرَة، وكَتَبَ أَنَّ يَدَهُ مَكْسُوْرَة، وأَنَّهُ أُصِيْبَ بِجُرُوْحٍ ثَخِيْنَة، سَبَبُها إهْمَالُ بَلَدِيَّةِ المَدِيْنَة، وحِيْنَمَا قَرَأَ المَسْؤُوْلُوْنَ تَحْقِيْقَه، دَمَجُوا البَلَدِيَّةَ وأَغْلَقُوا الحَدِيْقَة، فحُرِمَتِ الأُسَرُ مِنَ التَّرْفِيْه، لِدَجَلِ هَذا الصَّحَفِيِّ السَّفِيْه.

فرَأَى الجَارُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِجَارِه، ويَكْشِفَ لَهُ بَعْضَ عَوَارِه، فصَحِبَهُ فِي نُزْهَةٍ قَرِيْبَة، ثُمَّ عَابَ عَلَيْهِ أَكَاذِيْبَه، ونَصَحَهُ بِتَحَرِّي الحَقَائق، والتَّحَلِّي بِالطَّبْعِ الصَّادِق، وأَلاَّ يَنْظُرَ إلى جِهَةٍ وَاحِدَة، وأَلاَّ يُوَجِّهَ لِلشُّهْرَةِ مَقَاصِدَه، وبَيْنَمَا الجَارُ يَنْصَحُ صَفِيَّه، إذْ مَرَّتْ سَحَابَةٌ

صَيْفِيَّة، وَرَشَحَ مِنْها بَعْضُ الطَّلّ، فما لَبِثَ الصَّحَفِيُّ أَنِ انْسَلّ، ووَدَّعَ جَارَه في اسْتِعْجَال، والْتَفَتَ إِلَيْهِ لاهِثاً وقَال:

أَعِدُكَ أَنْ أُرَاعِيَ أَقْوالَك، فأَرِحْ مِنَ اليَوْمِ بَالَك، ولَكِنَّ المَدِيْنَةَ الآنَ تَغْرَق، وشَوَارِعُها بِالطُّوْفَان تَشْرَق، ولا بُدَّ أَنْ أُصَوِّرَ هَذِهِ المَهَازِل، وأَكْتُبَ عَنْها تَقْرِيْرِي العَاجِل، فدَعْنِي أَرْصُدِ الفَيَضَانَات، قَبْلَ أَنْ تَبْتَلِعَها البَيَّارَات، وأَرْجُو أَنْ تُهَاتِفَنِي دُوْنَ تَعْوِيْق، مَتَى صَادَفْتَ حَادِثاً في الطَّرِيْق.

فتَيَقَّنَ الرَّجُلُ أَنَّ صَاحِبَهُ مُبْتَلَى، وأَنَّ لَيْلَ غَيِّهِ بَعْدُ ما انْجَلَى، فرَجَّعَ عَلَيْهِ آهَةً مُحْرِقَة، ثُمَّ أَنْشَدَ والشَّمْسُ مُشْرِقَة:

يَا لَجَارٍ صَحَفِيٍّ يَقْتَفِي أَثَرَ الشَّرِّ كَصِلٍّ لادِغِ
يَرْصُدُ القُبْحَ بِطَرْفٍ ثَاقِبٍ وَيَرَى الحُسْنَ بِطَرْفٍ زَائِغِ

يَحْبِكُ الزَّيْفَ فُنُوْناً فَهْوَ في — فَرْقَعَاتِ القَوْلِ أَدْهَى نَابِغِ

كَمْ دَعَاوَى بَاطِلاتٍ هَذَّهَا — وَكَسَاهَا بِالدَّلِيْلِ الدَّامِغِ

وَيَسِيْرٍ هَيِّنٍ قَدْ صَاغَهُ — نَبَأً.. تَبّاً لَهُ مِنْ صَائِغِ

وَيْلَهُ! أَصْفَيْتُهُ نُصْحِي فَلَمْ — أَلْقَ مِنْهُ غَيْرَ عِيٍّ بَالِغِ

مَنْ رَأَى رَشْحَ الحَيَا مَا بَالُهُ — زَاغَ عَنْ قُرْصِ السَّمَاءِ البَازِغِ؟!

فَدَعُوْهُ في هَوَى تَضْلِيْلِهِ — إِنَّ مِنْطِيْقَ الهَوَى كَاللاَّثِغِ

وَاعْلَمُوا أَنْ لا دَعَاوَى هَشَّةً — كَدَعَاوَى صَحَفِيٍّ فَارِغِ

٢١ – «زَيْفٌ كَزَيْفِ المُسَابَقَات»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الدَّجَلِ والـهُرَاء، والعَبَثِ بِمَشَاعِرِ الفُقَرَاءِ والبُسَطَاء، والمُسَابَقَاتُ أَفْخَاخُ احْتِيَال، تُنْصَبُ لِنَهْبِ الأَمْوَال، ولِلْقَائمِيْنَ عَلَيْها وَسَائل، لِجَذْبِ الغَافِلِ والـجَاهِل، أَشْهَرُها القَائمُ عَلَى التَّصْوِيْت، وإثَارَةِ نَعْرَةِ التَّعَصُّبِ المَقِيْت، ووَسِائلُهُمْ تَهْدِفُ إلى المُتَاجَرَة، ومُعْظَمُها يَقُوْمُ عَلَى المُقَامَرَة، وتَخْلُو مِنَ التَّنَافُسِ الشَّرِيْف، ولِلْمُتَفَيْهِقِيْنَ مِنْها مَوْقِفٌ ظَرِيْف، حَيْثُ رَأَوا أَوَّلَ الأَمْرِ حُرْمَتَها، ثُمَّ أَبَاحُوْها لَـمَّا ذَاقُوا عُسَيْلَتَها، وصَارَ لِطَائفَةٍ مِنْهُمُ الـخُطُوْطُ الـخَاصَّة، وأَرْصِدَتُـهُمْ بِقِيْمَةِ الاتِّصَالاتِ غَاصَّة.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَاعِراً سَمِعَ في الإعْلان، عَنْ مُسَابَقَةِ أَشْعَرِ الإنْسِ والـجَان، وأَنَّ جَائزَتَها آلافُ الدَّنَانِيْر، والـحُكْمَ فِيْها لِنُخْبَةِ الـجَمَاهِيْر، فغَرَّتْهُ لَفْظَةُ (نُخْبَة)، ودَعَتْهُ إلَيْها الرَّغْبَة، وكَانَ رَغْمَ

الإفْلاس، مِنْ أَشْعَرِ النَّاس، فاخْتَارَ مِـنْ شِـعْرِهِ وانْتَخَـب، وبَعَـثَ بِـهِ إلَيْهِمْ وارْتَقَب، ورَاحَ يَسْرَحُ بـالأَحْلامِ والآمَـال، وكَيْـفَ سَـيَحْتَارُ في إنْفَاقِ المَال، وتَـخَيَّلَ أَنَّـهُ سَـدَّدَ أَقْـسَاطَهُ المُرَكَّبَـة، وأَنَّـهُ اشْتَـرَى بَيْتـاً ومَرْكَبَة، ولَـمَّا صَوَّتَ المُصَوِّتُوْن، خَرَجَ بِصَفْقَةِ المَغْبُوْن، إذْ لَـمْ يُصَوِّتْ لَهُ غَيْرُ أَخٍ وجَـار، وثَالِـثٍ أَخْطَـأَ في (زِرِّ) الاخْتِيَـار، ومِـمَّا زَادَ غَـبْنَ الشَّاعِرِ وسَاءه، أَنَّ قَصِيْدَةَ الفَائِزِ بَالِغَةُ الرَّدَاءة، بَيْدَ أَنَّهُ كَـانَ مِـنْ قَبِيْلَـةٍ كَبِيْرَة، ولَـها انْتِشَارٌ في أَنْحَاءِ الـجَزِيْرَة، فـصَوَّتُوا لَـهُ نَخْـوَةً وحَـمِيَّة، وهُمْ لا يَعْرِفُوْنَ ما القَضِيَّة.

وحِيْنَمَـا تَـبَدَّدَتْ أَحْلامُه، وسَيْطَرَتْ عَلَيْهِ آلامُـه، نَفَّـسَ عَـنْ كَرْبِـهِ الثَّقِيْل، بِأَثْقَلِ أَوْزَانِ الـخَلِيْل، فبَاغَتَ مُنَظِّمِـي ذَلِـكَ الـهُرَاء، وهَـاتَفَهُمْ مُبَاشَرَةً عَلَى الـهَوَاء، وأَنْشَدَهُمْ بِسُرْعَةِ خَاطِف، قَبْلَ أَنْ يُغْلِقُوا الـهَاتِف:

لأَنِّي بِغَـــيْرِ قَـــوْمٍ ... وَلا عُـــصْبَةٍ ذَوَاتِ

أُعَـانِي فَـوَاتَ فَـوْزِي ... وَأَبْكـي عَـلَى فَـوَاتِي؟!

فَــمَا ثَــمَّ قَــطُّ زَيْــفٌ كَزَيْـــفِ الْمُـــسَابَقَاتِ

أَلاَ إِنَّكُـــمْ لُـــصُوْصٌ تَبُـــثُّوْنَ مِـــنْ قَنَـــاةِ

تُقِيْمُـــوْنَ سَـــبْقَ شِـــعْرٍ وَتُغْـــرُوْنَ بِالْـــهِبَاتِ

وَأَنْـــتُمْ بِـــلا شُـــعُوْرٍ فَيَـــا لَلْمُفَارَقَـــاتِ!

لَقَــدْ كَــانَ سَــبْقَ رَدْحٍ خَصَــصْتُمْ بِــهِ فِئَــاتِ

بِتَـــصْوِيْـتِهِمْ أَكَلْـــتُمْ وُقُمْـتُمْ عَــنِ الفُتَـاتِ!

فَخَـــادَعْتُمُ القَـــوَافِي وَجُمْهُوْرَهَـــا الْمُـــوَاتِي

وَمِــنْ قَبْـلِ ذَاكَ سَــبْقٌ لأَعْجَــازِ رَاقِــصَاتِ!

ذِئَـــابٌ تَــرُوْمُ طُعْـــماً فَكَــمْ أَرْنَــبٍ وَشَــاةِ!



٢٢ – «سَخَافَةٌ لَـمْ يَقُلْهَا التَّرْبَوِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الكَلامِ البَـارِد، قَليـلِ المَنـافِعِ مَنْــزُوْعِ الفَوَائـد، والتَّرْبَوِيُّ مَنْ أَشْـغَلَ نَفْـسَهُ بِالقُـشُوْر، وغَفَـلَ عَـنْ جَلائـلِ الأُمُـور، وانْصَرَفَ عَنْ شُؤُوْنِ التَّعْلِيْم، وبَالَغَ في التَّنْظِيْرِ والتَّنْظِيْم، فخَـرَجَ عَـلَى يَدِهِ جِيْلٌ ضَعِيْف، لا يَقْوَى عَلَى كَسْرِ رَغِيْف، جَاوَزَ وَاحِدُهُمْ عِـشْرِيْنَ عَاما، ولَـمْ يَـزَلْ يُنَادِي أُمَّهُ: مَامَا.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُـلاً تَـزَوَّجَ دَارِسَـةَ نَفْـس، وأَنْجَـبَ مِنْهـا بَنَاتِـهِ الـخَمْس، فكانَ إذا عَنَّـفَهُنَّ علَى الـخَطَأ، فَضَحَتْهُ زَوْجَتُهُ في المَـلأ، وإذا مَعَهُنَّ انبَسَط، قالَتْ لَهُ: غَلَط، وكُلَّـما قالَ لَـهُنَّ: لا، قالَتْ لَهُ: قُـلْ بَـلَى، وإنْ طَاوَعَهَا يَوْمـاً وقَـال، قَالَـتْ: أَفْرَطْـتَ في الـدَّلال، فكَـانَ مِنْهـا في مُشَاغَبَة، وطُوْلِ جِدَالٍ ومُعَاتَـبَة، وحَدَثَ في ذاتِ يَوْم، وهُمَـا يَـسْتَعِدَّانِ للنَّوْم، أَنِ اقْتَـرَبَتْ مِنْهُ تَقُوْلُ له، وكَانَ السَّأَمُ قَدْ أَثْقَلَه:

يَا سَـيِّدِي اللَّبِيْـب، إنَّ سِيَاسَـةَ التَّأْدِيْـب، أنْ نَـنْظُرَ إلى المُـسْتَقْبَل، ونَمْضِيَ نَحْوَ الأَفْضَل، ولا يَنْبَغِي أنْ تُعَنِّفَ البَنَات، أوْ أنْ تَسْكُتَ عَـلَى ما فَات، ولا بُدَّ أنْ تَـتَّبِـعَ إسْتِرَاتِيْجِيَّةً وَاضِحَة، وتَسْتَفِيْدَ مِنْ تَـجَارِبِ الشُّعُوْبِ النَّاجِحَة، ولا شَكَّ أنَّ الـخَلَـلَ فِيْـك، ولا بُـدَّ مِـنْ تَكْمِـيْمِ فِيْك، فأنتَ لَـمْ تَطَّلِعْ عَلَى المَـنَاهِجِ الـحَدِيْثَة، وتَنْقُصُكَ لِبُلُوْغِ الـوَعْيِ خُطـىً حَثِيْثَـة، ومـا أَحْوَجَـكَ إلى دَوْرَةٍ تَأْهِيْلِيَّـة، في عِلْـمِ الـذَّاتِ والبَرْمَـجَةِ اللُّغَوِيَّة، ففي الـحَقِيْقَةِ والوَاقِـع، أنْـتَ في الـجَهْلِ وَاقِـع، وتَفْتَقِدُ مُعْظَمَ المَهَـارَات، كَـمَا أَثْبَتَـتِ الدِّرَاسَـات، فَائْـذَنْ لي أَنْ أَخْـتِمَ الكلام، بِأَحْدَثِ الإحْصَائيَّاتِ والأَرْقام.

فقَاطَعَها الزَّوْجُ المَكْدُوْد، وصَاحَ: لِلصَّبْرِ حُدُوْد، فجَذَبَـها إليهِ مِنْ شَعْرِها، وأَعْلَمَها حَقِيْقَةَ قَدْرِها، وصَفَعَها عَلَى خَـدِّها، وأَوْقَفَهـا عِنْـدَ حَدِّها، وتَـرَكَها وخَرَج، وسَأَلَ اللهَ الفَرَج، ثُمَّ أَخْرَجَ قَلَمَهُ وقِرْطَاسَـه، وكَتَبَ بَعْدَ أنِ اسْتَجْمَعَ أَنْفَاسَه:

لَقَـدْ تَزَوَّجْـتُ مِـنْ خَرْقَـاءَ بَـارِدَةٍ　　تَضَاعَفَ الرُّزْءُ فِيْهَـا وَانْتَـهَى أَسَـفِي

يَكَادُ يَـجْمُدُ مِنْهَا فِي العُرُوْقِ دَمِـي　　لَوْلا حَـمِيْمُ الأَسَى مِنْ مَدْمَعِي الوَكِـفِ

خَصَـصْتُهَا بِـوِدَادٍ خَـالِصٍ، وَأَنَـا　　خُصِصْتُ مِنْها بِسُوْءِ الكَيْلِ وَالـحَشَفِ

تَـهْذِي عَـلَيَّ بِـأَقْوَالٍ مُطَلْـسَمَةٍ　　وَتَـمْضَغُ الـحَرْفَ مَضْغَ الشَّاةِ لِلعَلَفِ

إذا احْتَضَنْتُ بَنَاتِي أَوْ رَفَعْتُ يَـدِي　　بِالزَّجْرِ فِيْهِنَّ صَاحَتْ بِي: كَفَـاكَ قِـفِ

تَقُـوْلُ إنَّ (اسْـتِرَاتِيْجِيَّتِي) خَطَـأٌ!　　فَاسْمَعْ حَدِيْثِي، وَمِنْ يَنْبُوْعِيَ ارْتَشِفِ

ثُمَّ انْبَـرَتْ بِحَدِيْثِ السُّخْفِ تُـخْبِرُنِي　　بِـمَا وَعَتْـهُ مِـنَ التِّلْفَـازِ وَالـصُّحُفِ

سَخَافَةٌ لَـمْ يَقُلْهَـا التَّرْبَـوِيُّ، ولَـمْ　　يَنْطِقْ بِـهَا غَـيْرُ مَـخْذُوْلٍ وَمُعْتَـسِفِ

بَقِيَّــةٌ مِــنْ تَـــجَارِيْبٍ وَفَلْـسَفَةٍ　　مَـا ثَـمَّ فِـيْهِنَّ لِلْـوَاعِيْنَ مِـنْ هَـدَفِ

وَحِيْنَمَـا أَكْثَـرَتْ لِي مِـنْ تَفَلْسُفِهَا　　وَسَـاقَتِ القَـوْلَ فِي كِبْـرٍ وَفِي صَـلَفِ

صَـفَعْتُهَا بِيَمِـيْنٍ لَـوْ صَـفَعْتُ بِـهَا　　مَيْتـاً لَقَـامَ عَـلَى رِجْلَيْـهِ كَـالأَلِفِ

وَزِدْتُـهَا بِـصُدُوْدِي كُرْبَـةً وَجَـوىً　　وَنِمْـتُ فِي مَكْتَبِـي.. رَأْسِي عَـلَى كَتِفِـي

تَـرَكْتُـهَا وَحْدَهَا في حِضْنِ وَحْـشَتِهَا وَصِحْتُ: (بِالإِسْـتِرَاتِيْجِيَّةِ) الْتَحِفِـي

فَـمَا أَتَـتْ مِـنْ لَيَـالِي الــهَجْرِ ثَالِثَـةٌ إلاّ وَنَحْـــنُ كَعُــصْفُوْرَيْنِ في كَنَــفِ

٢٣ – «فِي الانْتِخَابِ فِخَاخُ أَطْمَاع»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الأَمْرِ ظَاهِرُهُ الـخَيْر، وبَاطِنُهُ يَنْطَوِي عَـلَى الـشَّرِّ والضَّيْر، والانْتِخَابُ اخْتِيَارُ المُنَاسِب، لِيَقُـوْمَ عَـلَى بَعْـضِ المَـنَاصِب، وقَـدْ يُتَّخَـذُ ذَرِيْعَـةً لِلْوَجَاهَـةِ والمَغَـانِم، وتُبْـذَلُ في سَـبِيْلِهِ الأَمْـوَالُ والـوَلائم، وطَالَـمَا تَـحَزَّبَتْ في الانْتِخَـابِ فِئَـات، فجَـادُوا عَـلَى مُرَشَّحِهِمْ بِالأَصْوَات، لِكَوْنِهِ أَجْـزَلَ لَـهُمُ الوُعُـوْد، أَوِ انْتَخَـى بِـهِمُ الآبَاءَ والـجُدُوْد.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ زَعِيْمَ بَادِيَة، اسْـتَقَرَّ بِرَعِيَّتِـهِ في بُقْعَـةٍ نَائِيَـة، ولَـمْ يَزَالُوا يُثْنُوْنَ عَلَى سِيْرَتِه، وعَلَى عَدْلِـهِ في سِيَاسَـةِ عَـشِيْرَتِه، وكَـانَ عَـلَى الـجِوَارِ مِنْهُمْ أَعَاجِم، لَـهُمْ عَـادَةٌ في اخْتِيَـارِ الـحَاكِم، حَيْـثُ كَـانُوا يَـجْتَمِعُوْنَ ويَـخْتَارُوْن، ثُمَّ يُقَاسِمُوْنَهُ إِدَارَةَ الشُّؤُوْن، وإِنْ خَـالَفَهُمْ في أَمْرٍ عَزَلُوْه، ورُبَّمَـا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وقَـتَلُوْه، وعَلِمَ أَحَدُ الرُّعَـاةِ بِـتِلْكَ

العَادَة، وكَانَ مَوْلَىً دَخِيْلاً يَكْرَهُ أَسْيَادَه، فأَفْشَى ما رَآهُ بَيْنَ الرُّعْيَان، واقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ تَقْلِيْدَ الجِيْرَان، فكَاشَفُوا زَعِيْمَهُمْ بِالاقْتِرَاح، وأَثْقَلُوا عَلَيْهِ بِالإِلْحَاح، وعَرَضُوا عَلَيْهِ إِقْرَارَ الانْتِخَاب، عَلَى أَنْ يَظَلَّ مَحْمِيَّ الجَنَاب، ويَخْتَارَ هُوَ الوُزَرَاءَ والأَتْبَاع، ويَتْرُكَ لِسِوَاهُ شُؤُوْنَ الرَّعَاع، فأَقَرَّهُمُ الزَّعِيْمُ عَنْ حُسْنِ نِيَّة، وتَرَكَهُمْ يُدَبِّرُوْنَ أَمْرَ الرَّعِيَّة، فأَشْغَلُوا العَشِيْرَةَ بِالتَّصْوِيْتِ والاقْتِرَاع، وضَيَّعُوا أُمُوْرَ الرَّعْيِ والازْدِرَاع، ونُصِبَتِ الخِيَامُ لِلتَّرْشِيْح، وسَخَا بِأَمْوَالِهِ الشَّحِيْح، وزَخْرَفُوا دَعَاوَى التَّطْوِيْر، وأَجَادُوا وَسَائلَ التَّزْوِيْر، وأُقِيْمَتِ الوَلائمُ الكَبِيْرَة، وتَحَزَّبَ أَبْنَاءُ العَشِيْرَة، ودَخَلَ فِي نُفُوْسِهِمُ الشَّتَات، وصَارُوا بَعْدَ الوَحْدَةِ جَمَاعَات، ففَازَ المَوَالِي بِثَلاثَةِ مَقَاعِد، وظَفِرَ الرُّعَاةُ بِمَقْعَدٍ وَاحِد، ومَرَّتْ بِهِمُ الأَعْوَامُ ولا جَدِيْد، وأَحْوَالُهُمْ فِي احْتِدَامٍ شَدِيْد.

وفي العَـامِ الـــخَامِسِ مِـنَ الانْتِخَـاب، اجْتَـــرَؤُوا عَـلَى مَـــحْمِيِّ الـجَنَاب، ورَأَوا أَنَّ احْتِدَامَهُمُ القَدِيْم، سَبَـــبُهُ كُـرْهُ بَعْـضِهِمْ لِلـزَّعِيْم، فقَرَّرُوا أَنَّ تَنْحِيَتَهُ أَوْلَى، ونَصَّبُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ المَوْلَى، وحِيْنَ هَمَّ الـزَّعِيْمُ بِالارْتِـحَال، الْتَفَتَ عَلَى العَشِيْرَةِ وقَال:

قَدْ سُـسْتُكُمْ بِالعَدْلِ مُنْتَهِجـاً ... نَـــهْجَ امْـرِئٍ لِلْخَـيْرِ مُنْـصَاعِ

فَلْتَنْقُلُــوا عَنِّـــي مُكَابَـــدَةً ... ضَاقَتْ بِـهَا يَا قَوْمِ أَضْلاعي:

فِي كَثْـــرَةِ الآرَاءِ فُـــرْقَتُكُمْ ... وَفِي الانْتِخَـابِ فِخَـاخُ أَطْـمَاعِ

لا شَيْءَ أَبْخَسُ مِـنْ مُـشَارَكَةٍ ... وَالبَخْسُ فِي المَوْزُوْنِ لا الـصَّاعِ

هَـــذَا أَنَــا أَدْعُــو إِلَى رَشَـــدٍ ... وَاللهُ يَعْلَـمُ حَـسْرَةَ الـدَّاعي

اثْنَـــيْنِ لا تُوْلُوْهُمَــا ثِقَـــةً: ... مَوْلاكُمُ المَخْطُـوْمُ، وَالرَّاعـي

يَفِيَـــانِكُمْ حَتَّـــى إِذا ارْتَفَعَــا ... غَـــدَرَا، وحَطَّـاكُمْ إِلَى القَــاعِ

لا تُسْلِمُوا النَّـذْلَيْنِ أَنْفُـسَكُمْ ... إِنْ كَانَ فِـيْكُمْ حَـاذِقٌ وَاعـي

فَلَقَدْ رَأَيْـتُمْ كَيْـفَ خَـادَعَنِي مَنْ لَـمْ يُـــخَلْ يَوْمـاً بِخَـدَّاعِ

زَانَــا بِعَيْنَـــيَّ انْتِخَابَـــهُمَا وَاسْتَـثْنَـــيَا عَـرْشِي وأَتْبَـاعي

وَالآنَ هَــا أَنَــذَا طَرِيْـدُ فَـلاً أَصْــلَى مَـــرَارَاتِي وأَوْجَــاعي

٢٤ – «لا أَجْحَدَ مِنْ أُنْثَى»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ جَحَدَ الفَضْلَ الـجَزِيْل، وتَنَاسَى كُلَّ مَا صُنِعَ بِهِ مِنْ جَمِيْل، وَخُصَّتِ الأُنْثَى بِالنُّكْرَان، لِكَوْنِها أَسْرَعَ إلى النِّسْيَان، ولأَنَّها مَطْبُوْعَةٌ عَلَى الشَّكْوَى، وعَلَى غَيْرِ الـخِصَامِ لا تَقْوَى.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ شَابّاً كَثِيْرَ المَال، بَلَغَ بِعُمْرِهِ وعَقْلِهِ مَبْلَغَ الرِّجَال، وكانَ أَهْلُهُ يُشِيْرُوْنَ عَليهِ بالزَّوَاج، مِنْ فَتَاةٍ كَثِيْرَةِ المَالِ مِغْنَاج، فكَانَ يَرْفُضُ كُلَّ الرَّفْض، ولا يَقْبَلُ مِنْهُمْ أَيَّ عَرْض، إذْ كَانَ سَمِعَ مِنْ مُعَلِّمِه، جُمْلَةً مُخْتَارَةً مِنْ حِكَمِه، ومِنْ بَيْنِ ما سَمِعَهُ ووَعَاه، مِنْ تِلْكَ الـحِكَمِ ما مَعْنَاه:

خَيْرُ الـجِيَادِ الـحَسِيْبَةُ الكَرِيْمَة، وخَيْرُ النِّسَاءِ الفَقِيْرَةُ الدَّمِيْمَة، فالـجَوَادُ الـحَسِيْبُ يَفُوْزُ في السِّبَاق، والمَرْأَةُ الفَقِيْرَةُ تَصْبِرُ عَلَى

الإمْلاق، وتَشْكُرُ في كُثْرِها وقُلِّها، وتَـخْشَى العَوْدَةَ إلى أَهْلِهـا، كَـمَا أنَّ الدَّمَامَةَ تُوْرِثُ الـخُلْقَ القَوِيْم، وتُكْسِبُ الزَّوْجَ الأَجْرَ العَظِيْم، وتُبْعِدُ عَنِ الزَّوْجَةِ الأَنْظَار، وتُرِيْحُ الـزَّوْجَ مِـنَ العَـار، وذَلِـكَ كُلُّـهُ أَحْـرَى لِلتَّوْفِيْق، وبِالدَّوَامِ والسَّعَادَةِ خَلِيْق.

فعَزَمَ الشَّابُّ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْ فَـتَاة، لا تَـحْمِلُ إلاّ تِلْكَ الـصِّفَات، فتَـرَكَ مَدِيْنَـتَهُ المَعْمُوْرَة، وبَحَثَ في القُرَى المَهْجُوْرَة، إلى أنْ وَجَـدَ دَاراً مُـخِيْفَة، هَوَتْ مِنْ أَعْلاها السَّقِيْفَة، وأَمَامَ البَابِ شَيْخٌ مُسِنّ، لَـمْ يَبْـقَ في فَمِهِ سِنّ، ورَأَى خَلْفَهُ فَـتَاةً ظَاهِرَةَ الــحَوَل، يُطِـلُّ مِـنْ هُـوَّةِ أَنْفِهـا جُعَل، وأَسْنَانُـها بَارِزَةٌ لِلأَمَـام، ولِلـسُّوْسِ فِيهـا أَهْنَـأُ مَقَـام، وكَانَـتْ تَنْفِضُ القَمْلَ عَلَى العَتَـبَة، وتَلْهُو بِعَظْمَةٍ وخَشَبَة، فَسُرَّ بِمَرْآها الغُـلام، وقالَ: هِيَ غَايَةُ المَرَام، فنَقَدَ أَبَاها المَال، وتَزَوَّجَها في الــحَال، فأَصْـلَحَ مِنْها ما يُمْكِنُ إصْلاحُه، وطَارَ بِـها تَـحْدُوْهُ أَفْرَاحُه، وأَسْـكَنَها قَـصْرَهُ المَهِيْب، وكَاشَفَها بِغَرَامِهِ المُذِيْب، ثُمَّ أَجْرَى لَـها مِئَةَ عَمَلِيَّـةِ تَــجْمِيْل،

مَعَ أَنَّ هَيْئَتَها لا تَقْبَلُ التَّعْـدِيْل، واشْتَــرَى لَــها الـذَّهَبَ والأَلْــمَاس، وفَاخِرَ الزِّيْنَةِ واللِّبَاس، وخَصَّها بِسَائقَيْنِ وثَلاثِ خَادِمَات، وجَعَلَهُـمْ رَهْنَ إِشَارَتِـها كُلَّ الأَوْقَات، ومَنَحَها مَا لَيْسَ عَلَيْهِ مَزِيْد، وصَـارَ لَــها في المَصْرِفِ رَصِيْد، كَمَا طَافَ بِـها البُلْدَانَ والمَعَالِـم، وأَطْعَمَها في أَفْخَرِ المَطَاعِم، وعَلَّمَها الأَكْـلَ بِالمِلْعَقَـة، وكَانَـتْ تَـحْـسَبُها مِطْرَقَـة، وظَـلاّ أَعْوَاماً عَلَى هَذِهِ الـحَال، في أَتَمِّ نُعْمَى وأَسْعَدِ بَال.

وفي لَيْلَةٍ حَالِكَةٍ بَطِيْئَةِ النُّجُوْم، دَخَـلَ الـزَّوْجُ بَيْتَـهُ وهـوَ مَهْمُـوْم، فنَسِـيَ أَمْرَ الشَّرِيْكَة، ونَامَ عَـلَى الأَرِيْكَـة، وكَانَـتْ زَوْجَتُـهُ تَنْتَظِـرُهُ في الغُرْفَة، وتَرْتَقِبُ دُخُوْلَهُ عَلَيْها في لَـهْفَة، فلَـمَّا اسْتَبْطَأَتْ مَـجِيْئَهُ إِلَيْهـا، وخَيَّمَتْ سَطْوَةُ المَلَلِ عَلَيْها، عَلاها الوَجَلُ والارْتِبَاك، إلى أَنْ أُخْـبِرَتْ بِنَوْمِهِ هُنَاك، فهَبَطَتْ إليهِ مُسْرِعَةً مُـجِدَّة، وسَحَبَتْ مِنْ تَــحْتِ رَأْسِـهِ المَخَدَّة، وجَذَبَتْهُ مِنْ كَتِفَيْه، ثُمَّ صَرَخَتْ عَلَيْه:

أَلاَ سُحْقاً لِـبُرُوْدِكَ يـا أَلأَمَ اللُّؤَمَـاء، تَـتْــرُكُنِي وَحْـدِي وتَنَـامُ في هَنَاء، وَاللهِ إِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّكَ خَسِيْس، لَـمْ أَلْقَ مَعَكَ إلاّ العَيْشَ التَّعِيْس، صَبَرْتُ عَلَيْكَ السِّنِيْنَ الطِّوَال، ولَـمْ أَجِدْ مِنْكَ غَيْرَ الإهْمَـال، وبَـذَلْتُ لَكَ النَّفِيْسَ الغَالي، وأَنْتَ بي لا تُبَالي، وحَمَلْتُ لأَجْلِكَ الأَحْمَال، وأَنْـتَ لا مَالَ ولا جَمَال، وإلاّ قُلْ لي مَنْ تَصْبِرُ عَلَى نَكَـدِك، وتَـرْضَى أَنْ تَـضَعَ يَـدَها في يَـدِك؟، إلاّ مَنْحُوْسَـةٌ مِـثْلي، بَـاعَنِي لَـكَ أَهْـلي، وقَـدْ كـانَ الـخُطَّابُ مِنْ كُلِّ الـجِهَات، يَرْقُبُوْنَ مِنِّي أَدْنَى الْتِفَـات، فلَيْـتَ أَنَّنِـي عَـانِس، ولَـــمْ أَتَزَوَّجْـكَ يـا بَـائس، فقُـمْ أَيُّــها المَجْنُـوْن، وأَحْـضِرِ الـمَأْذُوْن، فلا صَبْرَ لي عَلَى العَيْشِ الــجَدِيْب، ولا النَّظَـرِ إلى وَجْهِـكَ الكَئِيْب.

وما زَالَتْ تَصِيْحُ وتَشْتُم، وتَرْكُلُ المِسْكِيْنَ وتَلْكُم، وهـوَ في مَكَانِـهِ مُنْكَمِش، ومِنَ الرَّهْبَةِ يَرْتَعِش، ثُمَّ نَـهَضَ مِنْ أَرِيكَتِهِ واعْتَدَل، ونَفَـثَ عَنْ شِمَالِهِ وتَفَل، فعَادَتْ إليهِ بَعْضُ الـسَّكِيْنَة، وأَحْكَـمَ سَـيْطَرَتَهُ عَـلَى

السَّفِيْنَة، ولَـوْ سَـدَّدَ لَـها ضَرْبَـةً في الـرَّاس، لَـسَقَطَتْ مِنْهـا خَمْـسَةُ أَضْرَاس، ولَكِنَّهُ آثَـرَ الصَّمْتَ والانْكِفَاء، وعَلِمَ أنَّـها طَبِيْعَـةُ النِّـسَاء، ولا حِيْلَةَ فِيها ولا جَـدْوَى، فـدَعا بِالـصَّبْرِ عَـلَى البَلْـوَى، ثُـمَّ أَخْـرَجَ قِرْطَاسَهُ وقَلَمَه، وكَتَبَ وهوَ يُغَالِبَ أَلَـمَه:

تَـمادَتْ بي تَـبَارِيْـحي — فَيَـا لِلَّـهِ مـا أَلْقَـى
وَمَـادَتْ بِي ذُرَى صَـبْرِي — وَكَـانَ الـصَّبْرُ لِي خُلْقـا
تَزَوَّجْـتُ التـي أَرْجُـو — فَـمَا أَقْبَحَهـا خَلْقـا
تَـرَى فِيْهـا ثـآليلاً — وأَنْيَابـاً لَـهَا زُرْقـا
فَـإِنْ شَـبَّهْتَها يَوْمـاً — بِنَـسْنَاسٍ فَـلا فَرْقـا
فَأَوْسَـعْتُ لَـهَا قَلْبـي — وَتُيِّمْـتُ بِـهَا عِـشْقا
وَقَـدْ أَكْرَمْـتُ مَثْوَاهـا — وَلاقَـتْ مِنِّـيَ الرِّفْقـا
وَأَحْـسَنْتُ لَهـا دَهْـراً — وَطُفْنَـا الغَـرْبَ والـشَّرْقا
وَقُلْـتُ: الآنَ أَجْنِـي مِـنْ — نُخَـيْلاتِ الرِّضَـا عِـذْقا

فَـمَا صَـحَّتْ حِـسَابَاتِي وَلا حَدْسِـي بِـهَا اسْـتَوْقى

فَـمَا أَخْيَـبَ آمـالي وَمَـا أَكْثَـرَنِي حُمْقـا

رَأَتْنِـي أَشْتَـكِي هَـمِّي وَأَحْـزَانِي مَعِـي غَرْقـى

فَلَـمْ تُـسْعِفْ بِإِنْجَـادٍ ولَـمْ تَـرْتِقْ مَعِـي فَتْقـا

وَظَنَّـتْ أَنَّنِـي سَـالٍ وَخَالَـتْ ظَنَّهـا حَقّـا

فَجَرَّتْنِـي عَـلَى وَجْهِـي وَقَالَـتْ لي: أَلاَ سُـحْقا

تَنَاسَـتْ كُـلَّ إحْـسَانِي وَأَرْخَـتْ لِلْخَنَـا شِـدْقا

وَخَـصَّتْنِي بِأَوْصـافٍ إلى الـخِـنْـزِيْـرِ لا تَـرْقى

وَظَلَّـتْ تَـكْفُرُ النُّعْمَـى وَتَـرْجُو مِنِّـيَ العِتْقـا

لأَنَّ البُـؤْسَ أَضْـنَاها! وَشُـحِّي زَادَهـا خَنْقـا!

فَـلا أَجْحَـدَ مِـنْ أُنْثَـى وَلا أَغْبَـى وَلا أَشْـقى

٢٥ – «لا مُهَانَ كَدَائن»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَهَانَهُ نُبْلُه، وأَصْمَاهُ مِنْ قَوْسِ مُــجْتَدِيْهِ نَبْلُــه، والدَّائنُ هُنَا مُقْرِضُ الصَّحْبِ مالَه، والمُرْخِي عَلَى سَوْءاتِــهِمْ سِرْبَالَــه، ورَجَا بِقَرْضِهِ الأَجْرَ والثَّوَاب، فكَانَ جَزَاءَهُ المَطْلُ والسِّبَاب.

وأَصْــلُ المَثَــلِ أنَّ رَجُــلاً ابْتُلــيَ بِالــشَّهَامَة، وأَرْخَــى في نَجْــدَةِ الأَصْــحَابِ زِمَامَــه، فكَــانَ إذا اسْتَــصْرَخَهُ لاهِــثْ، أَقْرَضَــهُ مــا يَقِيْــهِ الــحَوَادِث، ثُمَّ اتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى مَوْعِــدِ الــسَّدَاد، ودَعــا اللهَ لَــهُ بِــالتَّوْفِيْقِ والسَّدَاد، فلَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِهِ مُــحْتَاج، إلاّ وأَحَالَ ضِيْقَهُ إلى انْفِــرَاج، وكَانُوا يَتَــوَدَّدُوْنَ إِلَيْهِ سَاعَةَ القَرْض، ويَكَادُوْنَ يُقَبِّلُوْنَ أَمَامَهُ الأَرْض، وهوَ يَــجْذِبُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَمِيْنَه، ولا يَرْضَى لَــهُمْ حَالَةً مَهِيْنَة، وهَكَذا كَانَ في رِفْقِهِ ومَوَدَّتِه، لا يَكَادُ يَــحْرِمُ أَحَداً مِنْ نَجْدَتِه.

فلَـمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَه، طَـافَ عَـلَى أَصْـحَابِهِ يَـسْتَوْفِـي دَيْنَه، فطَرَقَ بَابَ الصَّاحِبِ الأَوَّل، فصَاحَ في وَجْهِهِ وأَعْوَل، وقالَ: لا سَبِيْلَ إلى التَّقَاضي، واذْهَبْ متَى شِئتَ إلى القَاضي، ثُمَّ عَاجَـلَ وَجْهَـهُ بِـبَصْقَة، وأَسْمَعَهُ مِنْ بَابِهِ صَفْقَة، ومَرَّ عَلَى صَاحِبِه الثَّـاني، فأَقْـسَمَ لـهُ بِالمَثَاني، أَنَّهُ لا يَمْلِكُ قُوْتَ يَوْمِه، وأنَّ إفْطَارَهُ مِثْلُ صَوْمِه، وطَلَـبَ مِنْـهُ الإمْهَال، إلى صَلاحِ الـحَال، وأَمَّ بَيْتَ ثَالِـثِ أَصْـحَابِه، فطَـالَ وُقُوْفُـهُ عَلَى بَابِه، ثُمَّ خَرَجَ إليهِ أَحَدُ بَنِـيْه، وقَالَ والتَّلَعْثُمُ مِـلْءُ فِيْـه:، أَبِـي في سَفَرٍ قَدْ يَطُوْل، فلا يَكُنْ مِنْكَ قُفُوْل، وقَصَدَ صَاحِبَهُ الرَّابِـع، بَعْـدَ أنْ رَصَدَهُ في الـجَامِع، فالْتَفَتَ إليهِ لَفْتَةَ المُكْتَسِح، وقالَ لـهُ: يـا لَـكَ مِـنْ وَقِح، تَـرَاني مُنْشَغِلاً بِالصَّلاةِ والابْتِهَال، وأَنْتَ تَـرْصُدُني تُـرِيْدُ المَـال، فاغْرُبْ عَـنْ وَجْهِـي شَـقِيْتَ وخُزِيْـت، ولا سَـلِمْتَ مِـنَ الأَذَى ولا وُقِيْت، ولَنْ أَفِيَكَ شَـيْئاً مِـنْ مَالِـك، رَدْعـاً لَـكَ ولأَمْثَالِـك، وخَـرَجَ يَلْـتَمِسُ صَـاحِبَهُ الـخَامِس، فوَجَـدَهُ في بَعْـضِ المَجَـالِس، فلَـمَّا رَآهُ

صَاحِبُه، انْعَقَدَ مِنْهُ حَاجِبُه، وقالَ: سَبَقَ مِنْكَ الإصْلاح، فلا تُفْسِدْهُ بِالمَنِّ والإلْحَاح، ثُمَّ إنَّ اللهَ فَتَحَ عَلَيْك، وسَاقَ جَزِيْلَ فَضْلِهِ إلَيْك، وما أَرَاكَ بِمُحْتَاج، فدَعْ عَنْكَ اللَّجَاج، واعْلَمْ أنَّ الخِصَام، مِنْ طِبَاعِ اللِّئام، وإنِّي إخَالُكَ كَثِيْرَ اللُّؤْم، وفي وَجْهِكَ عَلامَاتُ الشُّؤْم، وهَا أَنَذَا بَدَأْتُ مِنْكَ أَضِيْق، فلا تَضْطَرَّنِي إلى ما لا يَلِيْق، فاحْمَدِ اللهَ عَلَى العَافِيَة، ولا تُرِني وَجْهَكَ مَرَّةً ثَانِيَة.

فآثَرَ الدَّائِنُ أنْ يَسْتَرِيْح، وألاّ يَسْتَمْسِكَ بِالرِّيْح، وأَقْسَمَ بالله ذي الجَلال، ألاّ يُسْعِفَ مُعْوِزاً بِمَال، وألاّ يُنْجِدَ أَحَداً مِنْ كَمَدِه، ولَوْ كَانَ فَلْذَةَ كَبِدِه، ثُمَّ صَعَدَ مَنَارَةَ المَسْجِد، وأَنْشَأَ مِنْ غَيْظِهِ يُنْشِد:

يَا مَعْشَرَ النُّبَلاءِ لا يَأْخُذْكُمُ ... في مُعْوِزٍ عَطْفٌ وَلا تَتَأَثَّروا

يَسْتَفُّ بِاسْمِ القَرْضِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ... وَلَوِ اسْتَبَنْتُمْ فَهْوَ لِصٌّ أَكْبَرُ

يَأْتِي إلَيْكُمْ شَاكِياً أَحْوَالَهُ ... وَدُمُوْعُهُ مِنْ عَيْنِهِ تَتَحَدَّرُ

وَيَظَلُّ يَـسْتَجْدِي سَـمَاحَ نُفُوْسِـكُمْ وَلِـسَانُهُ الـــخَدَّاعُ شَــهْدٌ يَقْطُــرُ

لا تُـحْــسِنُوا فِيْــهِ الظُّنُــوْنَ فَإِنَّــهُ أَدْهَى الوَرَى، وَمِنَ الثَّعَالِبِ أَمْكَرُ

لَـــوْ أَنَّنِـــي أَخْـــبَرْتُكُمْ بِـــأَذِيَّتِي مِــنْ مِثْلِــهِ لَـشَجَاكُمُ مَـا أُخْــبِرُ

أَقْــرَضْتُ أَصْـحَابِي فَلَــمَّا جِئْـتُهُمْ مُـسْتَوْفِياً بَـصَقُوا عَـلَيَّ وَأَنْكَـروا

وَأَقَـلُّ مَـا لاقَيْـتُ مِـنْ نُكْرَانِــهِمْ وَغْـدٌ يُمَــاطِلُنِي، وَآخَـرُ يَزْجُـرُ

فِـيْما مَـضَى كُنْـتُ العَزِيْـزَ لَدَيْــهِمُ وَاليَـوْمَ هَـا أَنَـذَا العَـدُوُّ الأَخْطَـرُ

قَــدْ أَشْـــرَبُوْنِي بِالمَهَانَــةِ عَلْقَــماً وَشَرَابُـهُمْ مِنْ قَبْلُ عِنْدِي الـسُّكَّرُ

فإذا أَرَدْتُـمْ حِفْـظَ مَـاءِ وُجُـوْهِكُمْ لا تُـقْرِضُوا أَحَداً، وَمِنِّـي اسْـتَعْبِروا

فَلَقَــدْ رَأَيْــتُمْ.. لا مُهَــانَ كَـدَائنٍ هُوَ فِي اللَّظَـى، وَالمُسْتَدِيْنُ يُـسَعِّرُ

وَإذا أَبَـــى إلاّ الــشَّهَامَةَ نُـــبْلُكُمْ فَلْتَسْتَعِيْـضُوا بِالتَّـصَدُّقِ تُـؤْجَروا

٢٦ – «لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ لَـمْ تُشَامِخْ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ لِلسَّادِرِ في ضَلالِه، المُعْرِضِ عَنِ التَّفَكُّرِ في حَالِه، ثُمَّ نَشَأَتْ لَهُ نِعْمَـةٌ حَدِيْثَـة، فلَقِسَتْ نَفْسُهُ الـخَبِيْثَة، ورَأَى الكِبْرَ عَلَى البَرِيَّة، ولَـمْ تَكُـنْ لَـهُ مِـنْ قَبْـلُ أَهَمِيَّـة، والتَّشَامُخُ تَـصَنُّعُ الـشُّمُوْخ، والتَّـبَاهي بِرَأْسٍ مَنْفُوْخ.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً كَانَ لهُ جارٌ قَدِيْم، وبَيْـنَهُمَا مِـنَ الـوِدَادِ قَـدْرٌ عَظِيْم، فكَانَا إذا اجْتَمَعَا يَتَصَافَعَان، وبِكُلِّ فُنُوْنِ المُـزَاحِ يَأْتِيَـان، ولَـمْ يَكُنْ في قَلْبَـيْهِمَا إلاّ الإخَاء، وكَانَا مَـضْرِبَ المَثَـلِ في الوَفَـاء، فـشَاءَ ذُو النِّعَمِ العَمِيْمَة، أنْ يُوَاصِلَ الـجَارُ تَعْلِيْمَـه، ومَـعَ أَنَّـهُ كـانَ مَـحْدُوْدَ الفَهْمِ والاسْتِيْعَاب، وبَيْنَهُ وبَيْنَ النُّـبُوْغِ أَبْوَابٌ وحُجَّاب، إلاّ أَنَّـهُ تَـابَعَ في العِلْمِ مَسْرَاه، حَتَّى حَصَلَ عَلَى الدُّكْتُوْرَاه، ففَرِحَ لهُ نَدِيْمُـهُ وبَـارَك، ودَعَا لهُ اللهَ تَـبَارَك، ولَكِـنَّ الـجَارَ ذَا الـدَّال، بَـدَأَ يَزْهُـو ويَـخْتَال،

فرَفَضَ الصَّفْعَ عَلَى قَفَاه، ولَيْتَ أنَّ رَفْضَه كَفَاه، بَـلْ لَـمْ يَعُـدْ يُـزَاوِرُ نَدِيْمَه، ولا يَـرُدُّ عَلَيْهِ تَسْلِيْمَه.

وحِيْنَ ضَاقَ بالنَّدِيْمِ الـحَال، أَقْسَمَ بِـذِي العِـزَّةِ والـجَلال، أنْ يُـسْمِعَهُ قَـصِيْدَةً عَـصْمَاء، تَـسْرِي أَصْـدَاؤها في الأَنْحـاء، فاعْتَـرَضَهُ اعْتِرَاضَ المُنْدَفِع، وأَنْشَدَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِع:

لَـحَاكَ اللهُ مِـنْ رَجُـلٍ ضَـئِيْلٍ ... يَـتِـيْهُ عَـلَى أَحِبَّتِـهِ بـ(دَالِ)

وَلَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ لَـمْ تُشَامِخْ ... بِمِنْخَرِكَ القَصِيْرِ ذُرَى الـجِبَالِ

فَـمَا في التِّيْـهِ لِلْعُقَـلاءِ فَخْـرٌ ... وَلَكِـنْ في المَقَـالِ وفي الفَعَـالِ

أَتَـذْكُرُ إذْ ثِيَابُـكَ بَالِيَـاتٌ؟ ... وَأَنْفَكَ إذْ يَسِيْلُ عَـلَى السِّبَالِ؟

وَإذْ تَـجْرِي تُطَـارِدُ كُـلَّ هِـرٍّ ... وَتَـمْشِي في الطَّرِيْقِ بِـلا نِعَـالِ؟

وَإذْ تَـأْوِي إلى سَـطْحِي طَرِيْـداً ... وَتَقْـضِي في مُنَـادَمَتِي اللَّيَـالِي؟

غَدَاةَ قَفَاكَ يَعْكِسُ رَجْـعَ صَـفْعِي ... وَأَنْـتَ مِـنَ الـسَّعَادَةِ لا تُـبَالِي

فَسُبْحَانَ الـذي أَعْطَـاكَ (دَالاً) ... وَزَادَكَ رِفْعَـةً بَعْـدَ اسْـتِفَالِ

٢٧ – «مَا تَقَعَّرَ إلاّ حِيْنَمَا انْقَعَرُوا»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنِ اضْطُرَّ إلى المُجَارَاة، وسَاقَتْهُ إلى ما لا يَودُّ خُطَاه، والتَّقَعُّرُ تَكَلُّفُ الفَصَاحَة، واجْتِنَابُ اللِّيْنِ والسَّمَاحَة، والانْقِعَارُ مُنْتَهَى التَّقَعُّر، وغَايَةُ التَّخَلُّفِ والتَّقَهْقُر، وانْقَعَرَ الرَّجُلُ يَنْقَعِرُ انْقِعَارا، أَيْ تَرَكَ القَوْمَ مِنْ تَقَعُّرِهِ حَيَارَى، وانْقَعَرَتِ المَرْأَةُ فهيَ مُنْقَعِرَة، أَيْ خَارَتْ خُوَارَ البَقَرَة، والمُنْقَعِرُوْنَ جِنْسٌ مِنَ المُتَقَعِّرِيْن، أَسَاسُهُمْ في العِيِّ مَتِيْن، يَلْهَجُوْنَ بِغَرِيْبِ الأَحَادِيْث، ولَمْ تَزَلْ تَأْكُلُهُمُ البَرَاغِيْث.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَاعِراً رَقِيْقَ اللَّفْظ، رَمَاهُ عَلَى المُنْقَعِرِيْنَ سُوْءُ الحَظّ، وكَانُوا مَعَ انْقِعَارِهِمْ غِلاظَ الطَّبْع، يُعَامِلُوْنَ النَّاسَ بِالزَّجْرِ والرَّدْع، كَثِيْرِي الارْتِيَابِ في المَقَاصِد، وسِوَاهُمْ مِنَ العَالَمِيْنَ فَاسِد، يُؤْثِرُوْنَ الرَّثَاثَةَ والانْطِوَاء، وعَلَيْهِمْ مِنَ التَّجَهُّمِ سِيْمَاء، فرَغِبَ الشَّاعِرُ

أَنْ يُلاطِفَهُمْ بِالشِّعْر، ويُـرَقِّقَ طِبَاعَهُمْ بِمَا يُلِيْنُ الصَّخْر، فأَنْشَدَهُمْ فُنُوْنَ الأَعَاجِيْـب، مِـنْ وَعْـظٍ ومَـدِيْحٍ ونَـسِيْب، وحِـيْنَ كَـانَ مُـسْتَغْرِقاً فِي الإنْشَاد، كَانُوا يَرْمُقُوْنَهُ بِالنَّظَرِ الـحَادّ، ولَـمَّا فَـرَغَ مِـنْ تِلْـكَ المَوَاجِـد، انْـبَـرَوا عَلَيْهِ بِقَلْبِ رَجُلٍ وَاحِد، فأَرْجَفُوا فِي ذَمِّهِ وأَطَالُوا، وكَـانَ مِـنْ بَعْضِ ما قَالُوا:

لَقَــدْ تَـزَبَّـــبْتَ يَــا حِــصْرِم، وَخُــضْتَ العُبَــابَ الـخِــضْرِم، وَاشْمَخْـرَرْتَ بِمِعْطَسٍ أَفْطَس، وَمِثْلُكَ بَعْدُ مَـا اقْعَنْـسَـس، وَتَــزْعُمُ أَنَّكَ الـجَحْجَاحُ القُدْمُوْس، وَمَـا جَـزَاؤكَ إلا النُّــقَاخُ بِالعَـسَطُوْس، تَـتَـكَأْكَأُ عَلَى الشِّعْرِ الوَاهِن، وَتُـثِـيْـرُ اخْرِنْطَامَنَا بِـالمَلاحِن، وَتُنَـاطِسُ فِي الوَعْظِ الزَّاجِر، وَأَنْتَ هِلَّوْفٌ فَاجِر، وَتُـسَامِقُ بِالتَّمْـدَاحِ الكَـاذِب، بَكَتْ عَلَيْكَ النَّوَادِب، وَتُطَرْبِلُ شَرَاسِيْفَكَ بِالمُجُوْن، وَتَسْحَنْفِرُ فِيْـهِ يَـا مَأْفُوْن، فَيَا لَكَ مِنْ عَصَبْـصَبٍ مُنْـدَمِك، لا وَدَعَ اللهُ غَـارِزاً فِي فَمِـك،

هَلاَّ أَطْسَأْتَنَا بِشِعْرٍ كَشِعْرِ أَبِي عِجَانَة، أَوْ كَشِعْرِ ابْنِ خِرِنْبَاعَ مُـسْحَوْحِقِ المَكَانَة.[1]

(١) تَفْسِيْرُ الفِقْرَة:

لَقَدْ جَعَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ زَبِيْباً نَاضِجاً وأَنْتَ لَـمْ تَنْضُجْ بَعْد، وسَبَحْتَ فِي بَحْرٍ عَمِيْق، وبَاهَيْتَ بِـأَنْفٍ قَصِيْر، ومِثْلُكَ بَعْدُ ما اشْتَدَّ عُوْدُه، وتَـزْعُمُ أَنَّكَ سَيِّدٌ نَبِيْـلٌ وَضَـخْم، ومَـا جَـزَاؤكَ إلاّ الـضَّرْبُ عَـلَى رَأْسِكَ بِالعَصَا، تَسْتَنِدُ عَلَى الشِّعْرِ الضَّعِيْف، وتُثِيْرُ غَضَبَنا بِأَخْطَائكَ ولَـحْنِك، وتَــجْعَلُ مِـنْ نَفْـسِكَ طَبِيْباً يُدَاوِي بِالوَعْظِ الرَّادِع، وأَنْتَ كَذَّابٌ فَاجِر، وتَتَعَالَى بِالمَـدِيْحِ الكَـاذِب، قَامَـتْ عَلَيْـكَ النَّـوَائح، وتَـمْلأُ جَوَانِحَكَ بِالفِسْق، وتَـتَمَـادَى فِيْهِ يا مُـخْتَلَّ العَقْل، فيَا لَكَ مِنْ شَدِيْدِ الـبَلاءِ سَرِيْـعِ الــخَطْوِ فِيْه، لا تَـرَكَ اللهُ ضِرْساً في فَمِك، هَلاّ أَدْسَمْتَنا وأَمْتَعْتَنا بِشِعْرٍ كَشِعْرِ أَبِي عِجَانَة، أَوْ كَشِعْرِ ابْنِ خِرِنْبَـاعَ بَعِيْدِ المَكَانَة.

قَالَ الرَّاوِي: وأَبُو عِجَانَةَ شَاعِرٌ يَعْجِنُ الشِّعْرَ عَجْنا، فَلا يُدْرَى أَهوَ شِـعْرٌ أَمْ نَظْـمٌ أَمْ رُقْيَـةُ عَقْـرَب، واسْمُهُ: طَفْحَلَةُ بْنُ قَوْحَلَة، أَمَّا ابْنُ خِرِنْبَاعَ فَهـوَ مِـنْ شُعَــرَاءِ الجِـنِّ الـذِيْنَ أَدْرَكُـوا سُـلَيْمَانَ –عَلَيْـهِ السَّلامُ– وعَصَوْه، واسْمُهُ قِرْبَاعُ بْنُ خِرِنْبَاعَ الدَّجُوْجِي، وقَدْ وُجِدَ لَهُ بَيْتَانِ نُحِتَا عَلَى قُمْقُمٍ عُثِرَ عَلَيْهِ فِي قَاعِ بَحْر، وهُمَا مِنْ أَوْضَحِ ما نَظَمَ بَعْدَ تَوْبَتِه، ويَقُوْلُ فِيْهِمَا:

عَـصَيْتُ سُـلَيْمَانَ النَّبِـيَّ وهَـا أَنَـا ... بِقُمْقُمِـــهِ ثَــاوٍ يُـــحِيْطُ بِيَ القَــاعُ

فَـإِنْ تَـسْأَلُوا عَنِّـي اتِّعَاظـاً فَـإِنَّنِي ... أَنَـا ابْـنُ خِرِنْبَـاعَ الـدَّجُوْجِيُّ قِرْبَـاعُ

يُنْظَرُ كِتَاب: «مَنْهَـلُ الأَدِيْـبِ الأَرِيْـب، في الأَغَـالِيْطِ والأَكَاذِيْـب»، لِـمُؤَلِّفه: ابْـنِ سَـلاّلِ الـدَّجَّال، بَتَحْقِيْق: لاثِغِ بْنِ فَارِغ، ص: ٢١٤.

فأَدْرَكَ الشَّاعِرُ أَنَّهُ يَنْفَخُ في رَمَاد، ويُـخَاطِبُ جَمَاعَةً مِنْ قَـوْمِ عَـاد، ثُمَّ حَـمَلَهُ الـهُزْءُ بِـهِمْ عَلَى المُعَاوَدَة، فهَذَّ عَلَـيْهِمْ مِـنَ الغَـدِ جَلامِـدَه، وأَنْشَدَهُمْ شِعْراً يُـحَيِّـرُ الـجَان، ولا تَصِلُ إلى مَعَانِيْهِ الأَذْهَان، فكَـانُوا يَسْتَـزِيْدُوْنَ إنْشَادَه، ويَسْأَلُوْنَ لَهُ اللهَ السَّعَادَة، وهوَ أَثْنَاءَ ذَلِـكَ يَــخْلِطُ البُـرَّ بِالشَّعِيْر، وهُمْ يَقُوْلُوْنَ: لِـلَّـهِ دَرُّكَ مِنْ نِحْرِيْر، وكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مـا نَفَثَه، قَوْلُهُ غَفَرَ اللهُ عَبَثَه:

تَـخَامَطَتْ في نَخَا المِطْنَـاخِ خَامِطَـةٌ وَالـخَامِطُوْنَ عَـلَى مِرْبَاخِهَـا نَخَـرُوا

مِنْ كُلِّ مِطْنِيْحٍ قَفْحٍ أَوْ أَخِـي كَـرَحٍ لا يَـسْتَوِي عِنْـدَهُ المِحْـرَاحُ وَالـشَّحَرُ

تَقَرْفَطَـتْ في طُقَـاهُمْ كُـلُّ قَارِطَـةٍ يَكَـادُ مِـنْ طُرْقَطِيْهَـا المَقْـطُ يَنْطَـشِرُ

لا شَيْءَ يَـشْرَخُها إلاَّ إذا انْـشَرَخَتْ وَبَـانَ في شُرُخَـاتِ الرَّشْـخِ مُنْـشَخِرُ

فَكُلَّـمَا زَمْقَطَـتْ في الـزَّامِقِيْنَ بِـهَا تَقَرْمَـزُوا فَـتَقَازَى حَوْلَـهَا القَـزَرُ

قَـامُوا عَلَيْهـا شَرَافِيْخـاً مُقَرْشِـفَةً وَعِنْـدَمَا قَرْفَـشُوْهَا قَـرْفَشَ القَـشَرُ

هَيْهَاتَ يَـخْتُلُهَا الثَّاخِي عَـلَى ثَخَـنٍ أَوْ أَنْ يُثَاخِـــمَهَا الْمُخْــرَنْثِطُ الـــخَثِرُ

كَمْ صَارَدُوْهَا عَلَى الصَّفْصَاعِ فَانْصَرَدَتْ حَتَّى تَصَرْدَلَ مِنْهَا الـصَّخْوُ وَالفَـصَرُ

فَاسْتَرْضَغَتْ بَعْدَ أَنْ ضَاغَتْ مَرَاضِغُهَا ضَغْبَاءَ وَضْغَاءَ مَضْغُوْباً بِـهَا الغَـضَرُ

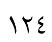
فَـمَا تُغَمْغِـمُ فِي الغَمْـرَاءِ مُغْرَتُـــهَا إلاَّ وَغَرْشَـــقَ غُرْقُـــوْسٌ وَمُنْـــشَغِرُ

فَيَا لَـهَا طَرْعَـةً هَاطَـتْ عَـلَى هَقَـطٍ وَطَوَّهَتْهَـا طَهَـالِي الـهَطْعِ وَالــهُطُرُ

فَـدُوْنَكُمْ مِـنْ تَعَاوِيْـذِ الرُّقَـى دُرَراً كَـلاَّ، فَـأَرْخَصُ مِـمَّا قُلْتُـهُ الـدُّرَرُ

مِنْ شَاعِرٍ لَـمْ يَـحِدْ عَنْ نَـهْجِ عُـصْبَتِهِ ولَـــمْ يَفُـــهْ أَبَـــداً إلاَّ بِـــمَا أَمَـــرُوا

فَـــلاَ تَلُوْمُـــوْهُ يَوْمــاً فِي تَقَعُّـــرِهِ فَـــمَا تَقَعَّـــرَ إلاَّ حِيْنَمَـــا انْقَعَـــرُوا



٢٨ – «مُشَاكَاةُ المُعَلِّمَةِ المُعَلِّم»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الاثْنَـيْنِ يَتَـشَاكَيَان، وكِلاهُمَـا عَلَيْـهِ مِـنَ العَنَـاءِ عُنْوَان، والمُعَلِّمَةُ والمُعَلِّـمُ في غِنـىً عَـنِ التَّعْرِيْـف، لِـحَمْلِـهِمَا رِسَـالَةَ الدِّيْنِ الـحَنِيْف، ولِعُلُوِّهِمَا في المَـرَاتِب، مَـعَ قِلَّـةِ الرَّاتِـب، فأَسْـأَلُ ذَا الإِحْسَانِ والمِنَّة، أَنْ يَـجْعَلَ جَزَاءهُمَا الـجَنَّة.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ زَوْجَيْنِ يَعْمَلانِ في التَّعْلِيْم، وهُمَا عَلَى هَذِهِ الـحَالِ مُنْذُ قَدِيْم، ومَرَّتْ بِـهِمَا السَّنَوَات، ولَـمْ تُـخَفَّفْ عَنْهُمَا المَـشَقَّات، هُـوَ نِصَابُهُ كَامِلٌ رَغْمَ طُوْلِ الـخِدْمَةِ والـخِبْرَة، وهيَ تَسْلُكُ إلى مَدْرَسَـتِها النَّائيَةِ مَسَالِكَ وَعْرَة.

وكانَ لَـهُمَا جارٌ مُلاصِق، يَسْمَعُ مِـنْهُمَا البَوَائـق، وفي لَيْلَـةٍ شَـدِيْدَةِ الظَّلام، سَمِعَهُمَا يَتَـرَاشَقَانِ الكَلام، هُوَ يَقُوْلُ: أنـا أَكْثَـرُ مِنْـكِ مَـشَقَّة، فلا تَـزِيْدِي عَلَيَّ الشُّقَّة، ودَعِيْنِي الآنَ أَنَام، فعِنْـدِي غَـداً دَوَام، حَيْـثُ

سَأَمُرُّ عَلَى إدَارَةِ التَّعْلِيْم، وسَأُوَقِّعُ عَلَى مِئةِ تَعْمِيْم، لأَنَّنِي زَجَرْتُ طَالِباً لَمْ يَفْهَم، فسَدَّدَ لي لَكْمَةً في الفَم، وحِيْنَ جَذَبْتُهُ مِنْ شَعْرِه الوَفِيْر، إلى حَيْثُ مَكْتَبُ الُمدِيْر، رُفِعَ فيَّ تَقْرِيْرٌ مُسْتَعْجَلٌ لِلْوَزَارَة، فما لَبِثُوا أنْ جَاؤوا في خَفَارَة، وأَخَذُوا عَلَيَّ تَعَهُّدا، أنْ آتِيَهُمْ غَدا، وأَنْ أُعِدَّ اعْتِذَاراً لِلطَّالِب، وأُقَبِّلَ كَفَّ الضَّارِب.

وهيَ تَقُوْلُ لَهُ: أَهَذِهِ الشَّكَاة؟! أَنا كُلَّ يَوْمٍ تَضْرِبُنِي فَتَاة، ولا شَكَاةَ لي مِنْ ذَلِك، شَكْوَاي مِنْ دَرْبِ المَهَالِك، أَخْرُجُ السَّاعَةَ الرَّابِعَة، وأَعُوْدُ لَيْلاً في السَّابِعَة، وأَهِيْمُ في الطُّرُقِ المَمْطُوْطَة، كَأَنَّنِي بِنْتُ بَطُّوْطَة، وكَمْ تَعَرَّضْتُ لِحَادِث، ومُعَاكَسَةِ عَابِث، وكَمْ فَارَقَتْ زَمِيْلاتي الحَيَاة، وتَنَاثَرْنَ أَشْلاءَ في الطُّرُقَات، وطَالَما نَجَوْتُ بإعْجَاز، وهَا أَنا أَمْشِي عَلَى عُكَّاز.

وبَيْنَمَا الجَارُ إلَيْهِمَا يَسْتَمِع، إذْ خَفَتَ صَوْتُهُمَا الُمرْتَفِع، وأَدْرَكَ أنَّ مَجْلِسَ خِصَامِهِمَا انْفَضّ، لَـمَّا سَقَطَ العُكَّازُ عَلَى الأَرْض، ثُمَّ

تَـبَـيَّنَ مِنْهُـا هُدُوْءَ النَّفْس، حِيْنَ سَمِعَ مَا يُشْبِهُ الـهَمْس، فانْصَرَفَ عَـمَّا كَانَ فِيْه، وأَنْشَأَ يُنْشِدُ مِلْءَ فِيْه:

حَـــمَدْتُ اللهَ ربِّي إذْ هَـــدَاني ... غَدَاةَ عَلَى الدِّرَاسَةِ لَـمْ أُصَـمِّمْ

قَنِعْتُ مِنَ (الكَفَـاءةِ) بالأَمَـانِي ... فَأَشْرَقَ في طَرِيْقِي كُـلُّ مُظْلِـمْ

لَـدَيَّ تِـجَارةٌ أَصْـبَحْتُ فِيْهَـا ... عَظِيْمَ القَـدْرِ لِلـصَّفَقَاتِ أُبْـرِمْ

فَكَـمْ مِــنْ جَـامِعِيٍّ لَـوْ رَآنِي ... يُبَـادِئُ بِالـسَّلامِ وَلا أُسَــلِّمْ

ولَــمْ أَتْعَـبْ لأُصْـبِحَ جَامِعِيّـاً ... فَـذَلِكَ لا يُــؤخِّرُ أَوْ يُقَـدِّمْ

فَكَمْ بَعْـدَ التَّخَـرُّجِ مِـنْ مَـآسٍ ... وَإرْهَـاقٍ لِمُعْدِمَـةٍ وَمُعْـدِمْ!

أَفِي التَّعْلِـيْمِ يَـبْـتَـنِـيَانِ جِـيْلاً ... وَغَيْرُهُمَـا لِـجِيْلِـهِمَا يُـهَدِّمْ؟!

مَعـاً كَـمْ يَلْقَيَـانِ مِـنَ الرَّزَايَـا ... وَمِنْ عَنَتٍ ثَقِيْلِ الوَطْءِ مُؤْلِـمْ

وأَعْجَبُ مَا سَمِعْتُ مِنَ التَّشَاكِي ... مُـشَاكَاةُ الْمُعَلِّمَـةِ الْمُعَلِّـمْ

هُمَا اثْنَانِ ارْتَـمَتْ بِـهِمَا حُظُوْظٌ　　وَشُـــدَّ عَلَـيْهِمَا قَيْـدٌ وَأُحْكِـمْ

فَإِنْ عَابَ امْـرؤٌ جَهْلــِي فَـإِنِّي　　لِـهَذَا الـجَهْلِ مُـحْتَـرِمٌ مُعَظِّمْ

فَيَــا ربِّي لَــكَ الـــحَمْدُ ابْتِــدَاءً　　وَهَا أَنَذَا بِضَافِـي الـحَمْدِ أَخْـتِمْ

٢٩ – «وَلا انْسِلاخُ مُبْتَعَث»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ خَلَعَ عَـرَاقَـتَه، ولَبِسَ عَبَاءَةً لَـمْ تَـكُنْ عَبَاءَتَـه، ومَشَى فِيْها يُبَاهِي بِاخْتِيَالِه، وتَنَاسَى مِشْيَةَ أَعْمَامِهِ وأَخْوَالِه، والمُبْتَعَثُ مَـنْ فَارَقَ أَهْلَهُ ونَاسَه، واغْتَـرَبَ في البِلادِ لأَجْلِ الدِّرَاسَـة، ثُـمَّ عَـادَ يَـهْجُو مُـجْتَمَعَهُ وبَلَـدَه، ويَـنْفُضُ مِـنْ تَـخَلُّفِهِما يَـدَه، وتَعَـالَى عَلَـيْهِما بِـرَأْسٍ مُنْـتَفِخ، وذَلِكَ هُوَ المُبْتَعَثُ المُنْسَلِخ، وثَمَّةَ مُبْتَعَثٌ مَعْدِنُهُ ثَمِـيْن، يَعُـوْدُ إِلى وَطَنِهِ مَرْفُوْعَ الـجَبِيْن، وقَدْ تَوَسَّـعَتْ في الابْتِعَـاثِ جِهَـات، وأَتَاحَتْـهُ في جَمِيْـعِ التَّخَصُّـصَات، فأَصْـبَحَ نَوْعـاً مِـنَ التَّرْفِيْـه، يَغْتَنِمُـهُ الـحَـصِيْفُ والسَّفِيْه، وأَعْجَبُ ما فِيْهِ مِنْ فَجِيْعَة، الابْتِعَاثُ لِدِرَاسَةِ الشَّرِيْعَة.

وأَصْلُ المَثَـلِ أَنَّ رَجُـلاً جَـدَّ ودَأَب، وتَـخَـصَّصَ في دِرَاسَـةِ لُغَـةِ العَـرَب، ولَـمَّا تَـخَرَّجَ عُيِّنَ في الصَّادِرِ والوَارِد، وبَقِيَ سِنِيْنَ عَـلَى هَـذا الـحَالِ الـجَامِد، وكَانَ لَهُ رَفِيْقُ دِرَاسَةٍ ودَرْب، ابْتَعَثَـهُ أَبُـوْهُ لِلدِّرَاسَـةِ

في الغَرْب، وعَادَ يَـحْمِلُ شَـهَادَاتِه، في التَّخَـصُّصِ ذَاتِـه، فعَـزَّاهُ رَاثِيـاً مَـــجْهُوْدَهُ الـسَّالِف، وبَكَـى عَـلَى مُـسْتَقْبَلِهِ في الوَظَـائف، إذْ كَيْـفَ سَتَعْتَرِفُ الـجِهَاتُ بِالقَادِم، وقَدْ تَعَلَّمَ لُغَةَ العَـرَبِ لَدَى الأَعَـاجِم؟!، فهَزِئَ القَادِمُ بِمَخَاوِفِ الصَّدِيْق، وعَزَّاهُ عَلَى تَفْكِيْرِهِ الصَّفِيْق، ثُمَّ أَمْعَنَ في سُخْرِيَـتِه، وقَالَ لَهُ ضِمْنَ هَذْرَمَتِه:

(بْلِيْزْ) اسْتَمِعْ لِي (مَايْ دِيْرْ)، إذا كُنْتَ تَـرَى أَهَمِّـيَةَ التَّغْيِـيْر، واعْذُرْنِي إذا حَدَّثْتُكَ بِالأَجْنَبِي، لِـجَهْلِـي بِـبَعْضِ الكَلامِ العَـرَبِي، فأَنْـتَ (شُـوْرْ) تُدْرِكُ الأَبْعَـاد، وتَعْلَـمُ أَنَّ الوَضْـعَ (بَـادْ)، ومُـشْكِلَـتُكَ أَنْـتَ وأَمْثَالِـكَ الـسُّذَّج، أَنَّكُـمْ تَنْطَلِقُـوْنَ مِـنْ مَنْطِـقٍ أَهْـوَج، وتُؤَوِّلُـوْنَ في فَـضْلِكُمُ النُّصُوْص، وأَنْتُمْ حَفْنَةُ أَعْرَابٍ لُصُوْص، والمُحْزِنُ أَنَّكَ وأَشْبَاهَكَ كَثْـرَة، وتَقِفُوْنَ في دَرْبِ التَّقَدُّمِ عَثْرَة، كَـمَا أَنَّكُـمْ سَـطْحِيُّوْنَ بُؤَسَـاء، وتُفَـضِّلُوْنَ التَّخَلُّـفَ والانْطِـوَاء، أُولَئِـكَ يَـسِيْرُوْنَ لِلأَمَـامِ بِخَطْـوٍ حَثِيْـث، وأَنْـتُمْ تُسَايِرُوْنَ لُغَةَ: أَكَلُوْهُ البَرَاغِيْـث، وهُـمْ يَـضْرِبُوْنَ دَوْلَـةً وأُخْـرَى، وأَنْـتُمْ

زَيْدُكُمْ يَضْرِبُ عَمْرا، وهُمْ وَقَفُوا عَلَى تِقْنِيَةِ الـجِيْنَات، وأَنْتُمْ تَقِفُوْنَ عَلَى أَطْلالِ المُعَلَّقَات، وهُمْ صَعَدُوا بِصَوَارِيْخِهِمُ الأَقْمَار، وأَنْتُمْ تُصَعِّدُوْنَ طَرَائقَ الاسْتِجْمَار، وهُمْ يَـخْتَلِفُوْنَ إلى مَيَادِيْنِ الأَبْحَاث، وأَنْتُمْ تَـخْتَلِفُوْنَ فِي قَضَايَا المِيْرَاث، والآنَ (آيْ ثِنْكْ) حَانَتْ سَاعَةُ الانْتِفَاض، ونَشْلِ أَمْثَالِكَ المُنْدَثِرِيْنَ مِنَ الأَنْقَاض، وجَاءَ وَقْتُ أَمْثَالِي مِنَ التَّنْوِيْرِيِّيْن، لِيُخْرِجُوْكُمْ مِنَ الضَّلالِ المُبِيْن، فمِنْ فَضْلِكَ (نَاوْ) (جُوْ أَوِيْ)، وابْتَعِدْ عَنِّي وعَنْ (مَايْ وِيْ)، فَلَدَيَّ مَـجْمُوْعَةُ خِيَارَات، مِنْ وَزَارَاتٍ ومُؤَسَّسَات، وكُلُّها تُسَاوِمُنِي بِالرَّاتِبِ الكَبِيْر، لأَقْبَلَ لَدَيْها وَظِيْفَةَ مُدِيْر، واقْبَعْ أَنْتَ فِي الأَرْشِيْف، وأَرِحْنِي مِنْ هَذْرِكَ السَّخِيْف.[1]

---

(١) تَرْجَمَةُ ما بَيْنَ الأَقْوَاس:

(بْلِيْزْ/ please): إنْ سَمَحْتَ، (مَايْ دِيْرْ/ my dear): عَزِيْزِي، (شُوْرْ/ sure): بِالتَّأْكِيْد، (بَادْ/ bad): سَيِّء، (آيْ ثِنْكْ/ I think): أَظُنّ، (نَاوْ/ now): الآن، (جُوْ أَوِيْ/ go away): اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي، (مَايْ وِيْ/ my way): طَرِيْقِي.

قَالَ الرَّاوِي: وقَدْ رَطَنَ المُنْسَلِخُ بِكَلامٍ آخَرَ ظَاهِرُهُ العُجْمَة، فسَأَلْتُ عَنْ مَعْنَاهُ أَهْلَ الاخْتِصَاص، فلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ تَرْجَمَة.

وحِيْنَئِـذٍ ضَرَبَ صَـاحِبُنا كَفَّـاً بِكَـفّ، وكَـتَمَ في أَحْـشَائِهِ الأَسَـى والأَسَف، وتَـحَقَّقَ أَنَّ القَـادِمَ غَيَّـرَ المَشَارِب، وأَنَّ انْتِـمَاءهُ حُلِـقَ مَـعَ الشَّارِب، ثُمَّ دَعَا اللهَ أَنْ يَـحْفَظَ الدِّيْنَ والوَطَن، مِـمَّا يَبُـثُّـهُ أَمْثَـالُ هَـذا القَادِمِ مِنْ عَفَن.

ولَـمَّا فَـرَغَ مِنْ دُعائِهِ السَّالِف، وجَـمَدَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ الوَاكِف، أَقْسَمَ أَنْ يَنْظِمَ فِيْهِ الدُّرَر، عَـلَى بَحْـرٍ جَدِيْـدٍ مُبْتَـكَر، يَـأْسِرُ بِعُذُوْبَـةِ إِيْقَاعِـهِ الآذَان، ويُصْبِحُ السَّابِـعَ عَشَرَ في الأَوْزَان، وأَنْ يُغْرِقَ المُنْسَلِخَ القَـادِم، في عُبَابِ بَحْرِهِ المُتلاطِم، لِيَكُوْنَ عِبْرَةً لِكُلِّ مُبْتَعَثٍ دَالِه، ولِكُـلِّ أَمْلَـطِ الوَجْهِ مِنْ أَمْثَالِه، مِنْ ذَوِي الفِكْرِ المُهَجَّـنِ المُـتَّـسِخ، ورَأَى أَنْ يُـسَمِّيَهُ البَحْرَ المُنْسَلِخ، وذَلِـكَ لانْـسِلاخِهِ عَـنْ دَوَائِـرِ الـخَلِيْل، ولِـمُطَابَقَةِ الاسْمِ لِصِفَةِ ذَلِكَ الدَّخِيْل، وضَبَطَ إِيْقَاعَـهُ العَـذْبَ المُنْسَاب، بِـهَذا الـضَّابِطِ الظَّرِيْـفِ العُجَـاب:، «سَـلَخُوا أَوْزَانَ الـخَلِيْلِ لا فَلَـتُوا، فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُفَاعَلَتُ»، وكَانَ مِـمَّا انْـتَظَمَ بِـهِ الـسِّلْك، قَوْلُـهُ في قَصِيْدَتِهِ تِلْك:

يَـا شَـقَاءَ الأَيَّـامِ حِـيْنَ يَغْنَمُهَـا | خَامِـلٌ لَـمْ يَكُـنْ لِقَـدْرِهِ ثَمَـنُ
مَـنْ رَأَى مِنْـهُ مَـا رَأَيْتُـهُ ذَرَفَـتْ | عَيْنُـهُ دَمْعَهَـا، وَعَـادَهُ الـشَّجَنُ
كَـانَ قَبْـلَ ابْتِعَاثِـهِ أَخَـا تَـرَفٍ | يُفْصِحُ العِيُّ عَنْ حِجَاهُ وَالـسِّمَنُ
يَسْحَبُ الذَّيْلَ لاهِيـاً وَلا حَسَبٌ | فَهْـوَ كَالثَّـدْيِ وَارِمـاً وَلا لَـبَنُ
بَعُـدَتْ عَنْـهُ غَايَـةٌ مُيَـسَّرَةٌ | حَـالَ مَـا بَيْنَـهَا وَبَيْنَـهُ الـوَهَنُ
وَرَمَتْـهُ الفِجَـاجُ عَـنْ مَنَاكِبِهَـا | وَاشْتَـكَى نَتْنَـهُ الكَنِيْـفُ وَالعَفَـنُ
فَـاعْجَبُوا مِـمَّنْ هَـذِهِ بَـوَادِرُهُ | حِـيْنَ يُـزْرِي بِإِرْثِـهِ وَيَمْـتَهِنُ!
لَـمْ يُطِقْ تَـحْقِيْقَ الطُّمُوْحِ فِي وَطَـنٍ | هُـوَ لِلـصَّابِرِيْنَ كُلِّهِـمْ وَطَـنُ
فَغَـدَاةَ ارْتَـأَى أَبُـوْهُ خَيْبَتَـهُ | وَتَـمَادَى بِـهِ عَـلَى ابْنِـهِ الـحَزَنُ
سَـاقَهُ –مِـنْ عَنَائـِهِ– إِلى جِهَـةٍ | يَـخْدَعُ النَّاظِرِيْنَ وَجْهُهَا الـحَسَنُ
فَمَـضَتْ أَشْـهُرٌ وَعَـادَ مُلْتَحِفـاً | بِالـشَّهَادَاتِ.. لَيْـتَ أَنَّـهَا كَفَـنُ
مَلَـطَ الوَجْـهَ كُلَّـهُ، وَأَبْرَزَهَـا | سِحْنَةً كَمْ تَـحْلُوْ لِقُبْحِهَا الـسِّحَنُ
شَـاهَ وَجْـهٌ أُزِيْـلَ عَنْـهُ شَـارِبُهُ | فَبَـدَا عَـوْرَةً، وَكُلُّكُـمْ فَطِـنُ

وَامْتَطَاهُ الأَعَاجِمُ الأُلَى جَعَلُوا   مِنْهُ بَغْلاً مُرَوَّضاً لَهُ رَسَنُ

أَمَّهُمْ يَدْرُسُ الفَصِيْحَ وَا عَجَبِي!   فَأَتَانَا مُرَاطِناً بِهَا رَطَنُوا!

وَانْثَنَى يَزْدَرِي تُرَاثَهُ بِفَمٍ   أُشْهِدُ اللهَ أَنَّهُ فَمٌ نَتِنُ

هَالَهُ مَا رَآهُ مِنْ زَخَارِفِهِمْ   وَأَرَاعَتْهُ بِاخْضِرَارِهَا الدِّمَنُ

خَلَبَتْ لُبَّهُ القُشُوْرُ، فَانْبَهَرَتْ   مُقْلَةٌ مِنْهُ، ثُمَّ أَنْصَتَتْ أُذُنُ

وَيْلَهُ عَادَ يَوْمَ عَادَ مُنْسَلِخاً   لا جُذُوْرٌ يُنْمَى لَهَا وَلا فَنَنُ

فَالمَنَايَا وَلا انْسِلاخُ مُبْتَعَثٍ   كَمْ تَمَنَّى فِرَاقَ رُوْحِهِ البَدَنُ

٣٠ - «يَعِيْبُ النَّاسَ مَوْفُوْرُ العُيُوْب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ شَتَمَ وآذَى، ورَاحَ يَهْجُو ذَاكَ ويُعَرِّضُ بِهَذا، وهوَ في مُحِيْطَاتِ عُيُوْبِهِ غَارِق، ومَسَاوِئُهُ تَسُدُّ المَغَارِبَ والمَشَارِق، ومَوْفُوْرُ العُيُوْبِ مَنِ امْتَلأَ بِالخَطَايَا، فغَفَلَ عَنْهَا ورَاقَبَ عُيُوْبَ البَرَايَا.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَابّاً أَحَبَّ الأَدَب، وآتَاهُ اللهُ في الشِّعْرِ والنَّثْرِ ما أَحَبّ، فكَانَ كُلَّما نَظَمَ قَصِيْدَة، أَوْ خَصَّ بِمَقَالاتِهِ جَرِيْدَة، لَمْ يُسْمَعْ لَهُ ولَمْ يُقْرَأ، وبِالإعْرَاضِ والتَّثْبِيْطِ يُفْجَأ، وكَانَ عَلَى ثِقَتِهِ بِما أَبْدَع، يَسْمَعُ لآخَرِيْنَ طُبُوْلاً تُقْرَع، وحِيْنَ يُفَتِّشُ في بَعْضِهَا عَنْ سَمِيْن، لا يَجِدُ إلاّ جَعْجَعَةً ولا طَحِيْن، وكَانَ أَكْثَرَ ما أَثَارَ حَفِيْظَتَه، وأَعْلَمَهُ قِيْمَةَ أَدَبِهِ وقِيْمَتَه، احْتِفَاءُ النَّاسِ بِالسَّاقِطِ والسَّاقِطَة، مَتَى تَقَيَّآ الرِّوَايَاتِ الهَابِطَة، مَعَ خُلُوِّهَا مِنَ الإبْدَاعِ والإحْكَام، وعَزْفِهَا عَلَى

وَتَرِ الـجِنْسِ والـحَرَام، وزَادَ غَبْنَهُ حِوَارٌ قَرَأَهُ فِي صَحِيْفَة، مَـعَ سَـاقِطَةٍ تُسَوِّقُ رِوَايَتَها السَّخِيْفَة، وتَزْعُمُ مِنْ فَـرْطِ وَقَاحَتِهَـا الْمُـتَنَاهِيَة، أَنَّــها تَدْعُو إِلى الأَخْلاقِ الـسَّامِيَة، وأَنَّــها تُــجَرِّدُ الوَاقِـعَ بِـمَا فِيْـه، لِيَـسْهُلَ عِلاجُهُ عَـلَى مُدَاوِيْـه، وأَنَّــها بِكِتَابَـةِ هَذْيِــهَا مُـشْفِقَة، وكَمَـنْ يُقَـدِّمُ لِلْمُجْتَمَعِ صَدَقَة، وهوَ يَعْلَمُ عَنْها أَيَّامَ غَوَايَتِه، مَا تُـنَــزَّهُ الأَسْـمَاعُ عَـنْ رِوَايَتِه، فَكَمْ وَدَّ لَوْ أَنْ صَاحَ فِي وَجْهِهَا: ارْفُقِي، لَكِ الوَيْـلُ لا تَــهْذِي وَلا تَـتَصَدَّقِي.

فلَــمَّا رَأَى صَـاحِبُنا ضَـيْعَةَ الأَدَب، وانْـصِرَافَ النَّـاسِ إلى (قِلَّـةِ الأَدَب)، رَغِبَ أَنْ يُعِيْـدَهُمْ إِلى حِيَاضِـه، وأَنْ يَـجْنِــيَهُمْ مِـنْ أَزَاهِـيْرِ رِيَاضِه، فمَزَجَ مَعَ رَغْبَتِهِ تِلْكَ سُخْطَهُ الـسَّالِف، وجَمَـعَ بِـيْنَ الـسُّخْرِيَةِ والأَدَبِ الـهَادِف، وصَاغَ لَـهُمْ جُمْلَةً مِنَ الأَحَادِيْث، وصَبَّها فِي قَالَـبٍ تُرَاثِيٍّ حَدِيْث، وأَخَذَ مِنَ الـحُسْنَـيَـيْنِ المَحَاسِن، لِتَسْهُلَ عَلَى الفَـصِيْحِ واللاّحِــن، واخْتَلَــقَ فِي بِدَايَاتِـــها الأَمْثَــال، وجَــنَّحَ فِي تَفَاصِــيْلِها

بِالـخَيَال، وزَخْرَفَ طَيَّاتِـها بِالنَّثْرِ المَسْجُوْع، ووَشَّـى نَـسْجَها بِالـشِّعْرِ المَطْبُوْع، فحِيْناً يَنْظُـرُ إلى الوَاقِعِ ويُـحَاذِيْه، وفي أَحْيَـانٍ أُخْـرَى يُبَـالِغُ فِيْه، والعَارِفُ بِمَقَاصِدِ الأَدَبِ وشُـجُوْنِه، يُـدْرِكُ أَنَّ التَّهْوِيْـلَ أَعْـذَبُ فُنُوْنِه.

وكَـانَ يَأْمُـلُ أَنْ يَـحْظَى عَمَلُـهُ بِـالقَبُوْل، وأَنْ يَـخْلُصَ مِـنْ قَلَـمِ العَاتِبِ والـجَهُوْل، فبَـيَّنَ أَنَّـهُ حِيْنَمَــا اجْتَــرَأ، لَــمْ يُنَــزِّهْ نَفْـسَهُ عَـنِ الـخَطَأ، ومَا هُوَ إلاّ عُضْوٌ فِي جَسَد، وطَالَـما وَقَعَ فِيْما انْتَقَد، وعَابَ قَوْماً بِــبَعْضِ مـا فِيْـه، وقَلَّـدَ الــحُطَيْئَةَ فِي قَوَافِيْـه، ولِـذا أَوْدَعَ عَمَلَـهُ هَـذا الإيْضَاح، والْتَمَسَ مِنْ مُسِيْئِي فَهْمِهِ السَّماح، وسَأَلَ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوْبَـه، وأَنْ يُنِيْرَ بِالـهِدَايَةِ دُرُوْبَه، ثُمَّ لَـجَّ فِي الاسْتِغْفَار، وأَنْشَدَ ودَمْعُهُ مِدْرَار:

إلَـهِي جَلَّ مِنِّي الـخِزْيُ فَـاغْفِرْ ... لِـلاَءٍ فِي مَـخَازِيْهِ لَعُـوْبِ
دَعَوْتَ المُسْرِفِيْنَ: عِبَـادِيَ ادْعُـوا ... أُجِبْكُمْ، فَاسْتَجِبْ لِي وَامْحُ حُـوْبِي

فَمَنْ لِي إنْ سَـخِطْتَ سِـوَاكَ رَبِّي وَقَـدْ ضَـاقَتْ بِخُطْـوَاتِي دُرُوْبي؟

وَتَـدْرِي أَنَّنِـي عَـاصٍ، وَأَدْرِي بِأَنَّـكَ أَنْـتَ غَفَّـارُ الـذُّنُوْبِ

وَهَـذِي أَدْمُعِـي سَـحَّتْ رَجَـاءً وَتُوْشِكُ أَنْ تَكُفَّ مِـنَ النُّضُوْبِ

وَوَجْهِي اصْفَـرَّ خَشْيَةَ مَا سَيَلْقَى وهَا هُوَ سَـاهِمٌ بَـادِي الـشُّحُوْبِ

أُقِـرُّ بِـأَنَّنِي عَـاصٍ، وَعِنْـدِي مِنَ الزَّلاَّتِ مُـخْتَلِفُ الـضُّرُوْبِ

وَأَقْبَحُ مَـا لَـدَيَّ مِـنَ الـخَطَايَا مُبَـادَأَتِي عِبَـادَكَ بِالـحُرُوْبِ

أُهَـاجِي ذَاكَ، ثُـمَّ أَذُمُّ هَـذَا وَأَرْمِـي غَـافِلاً مِـنْهُمْ بِطُـوْبِي

وَأَبْحَـثُ عَـنْ عُيُـوْبِهِمُ، وَعَيْبِـي أَحَـقُّ بِـبَحْثِ مَغْـرُوْرٍ كَـذُوْبِ

وَمَـا مَيَّزْتَنِـي عَـنْهُمْ، وَلَكِـنْ يَعِيْـبُ النَّـاسَ مَوْفُـوْرُ العُيُـوْبِ

فَيَـا مَـوْلاَيَ بَلِّغْنِـي رَشَـادِي وَيَـا نَـفْـسِي إلى مَـوْلاَكِ تُـوْبِي

قَفْلَة :

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ،

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ».

الفهرس :

فائت الأمثال :

ناسج الأمثال :

– فواز بن عبدالعزيز بن محمد اللعبون.

– من مواليد مدينة الرياض: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– تخرج في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض عام: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

– عُيِّن معيداً في الكلية نفسها في قسم الأدب عام: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، فمحاضراً عام: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، فأستاذاً مساعداً عام: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

– حاصل على الماجستير من قسم الأدب بعنوان: «شعر عبدالله شرف: دراسة موضوعية وفنية» عام: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

– حاصل على الدكتوراه من القسم نفسه بعنوان: «شعر المرأة السعودية: دراسة في الرؤية والبنية» عام: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– من الأعمال النقدية والإبداعية:

– فائت الأمثال: مقاربة أدبية ساخرة.

– شعر المرأة السعودية: دراسة في الرؤية والبنية.

– عملاق صناديد: دراسة نقدية (تحت الطبع).

– احتدام نسقين: دراسة نقدية موازِنة (تحت الطبع).

– ديوانان شعريان (تحت الطبع).

– من النشاطات الأدبية:

– المشاركة في عدد من الأمسيات الشعرية الداخلية والخارجية، وتمثيل المملكة العربية السعودية في بعض الفعاليات الشعرية والثقافية.

– الإعداد والتقديم لجملة من البرامج الأدبية والثقافية في وسائل الإعلام المختلفة.

– الإسهام المتنوع مع الصحافة والإذاعة والفضائيات محليّاً وعربيّاً.

جامعة الإمام – كلية اللغة العربية في الرياض – قسم الأدب

ص.ب. ٥٧٦٢ الرياض ١١٤٣٢

البريد الشبكي: alrsad@hotmail.com

ومضة

يقدم هذا المجموع ثلاثين مثلاً مختلَقاً بأسلوب فكاهي ساخر، وقد جمع فيه المؤلف بين أصالة التراث، وسلاسة المعاصرة، وزاوج فيه بين النثر والشعر، فجاء مجموع الأمثال وقد أخذ من فنون الأجناس الأدبية ما يناسب شداة الأدب بمختلف مستوياتهم؛ حيث أخذ من القصة الخبرَ الواضح، ومن الشعر الإمتاعَ السهل، ومن المقالة التوجيهَ اللاذع، وضَمَّنَ ذلك كله الإيحاء القريب، والومض الخافت.

ولذا ففي هذا المجموع عدة وافية لمن أراد الورود على مناهل أدبية عذبة، ورغب التفيؤ في ظلال لغوية دانية.. يبترد في رياضها المتخصص، ويفيد منها -مع الابتراد- سواه.

الناشر


«الفرغ من ذات عود»
وهو مثل يقال فيمن فتك به الفراغ، وخلا من هدف وزاغ،
والعمود زاوية في جريدة، تحتوي نقد الرأي وعقيده، وقد تكالبت عليه النساء،
وأصل المثل أن رجلاً تقدم عليه المتقمص، بأن يقدم على كتاباتهن التلصص،
فأشار عليه من أشارت سخيفة، بأن يشترك في أكثر من صحيفة،
فاضطر إلى تحليل فن الاشتراك، بعد أن وقع في الأشراك،
فراح يقرأ كل عمود، ويصغي لكل نغمة عود.